سعد الله ونوس

سهرة مع ابي خليل القباني



دار الآداب

سهرة مع ابي خليل القباني

سعد الله ونوس

سهرة مع أبي خليل القباني

مسرحية

منشورات دار الآداب - بيروت

الطبعة الاولى ـ دمشق

الطبعة الثانية ـ بيروت
ايلول (سبتمبر) ١٩٧٧

الطبعة الثالثة ـ بيروت
تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٠

بعض الملاحظات الضرورية

ا ـ هذه المسرحية هي محاولة لبعث التراث وفهمه ، اخذت احدى روايات الرائد المسرحي احمد ابو خليل القباني « هرون الرشيد مع غانم بن أيوب وقوت القلوب » بعد تعديل شيء من لغتها وبعض مواقفها ، ثم أدمجتها بالقصة الريادية لتجربة القباني وكفاحه من اجل اقامة مسرح في دمشق .

اذن هناك مستويان متميزان في هذا العمل ،ولا بد من التفريق بينهما بخط عريض وواضح اثناء الاخراج .

المستوى الاول هو مسرحية ابي خليل القباني « هرون الرشيد مع غانم بن أيوب وقوت القلوب »وفيها يجب ان نستعيد جوهر العرض المسرحي كما كان يتم تلك الايام ، لان القيمة الاساسية لتلك التجربة ، في نظري على الاقل ، لا تكمن في ريادتها فقط وانما في طبيعة العرض المسرحي كحدث اجتماعي فعال . فالجدة والارتجال والاتصال الحي بالمتفرجين . كل ذلك كان يحول العرض الى ظاهرة

اجتماعية تخلق مناخا جديدا في سهرات الناس وتولد لديهم احساسا خاصا بجماعيتهم .

كان في هذه العروض التي بدأت تخض سكون الحياة اليومية تغريب فطري ، وكان شعور بالتآلف يطفو على تلك الليالي التي يتجمع فيها الناس امام عدد من المشخصين يتفرجون عليهم ، ويقاطعونهم ويعلقون على اقوالهم دون حرج او ارتباك .. ويمكن تمييز بعض عناصر التغريب في الديكورات الفجة التي تتصور المشهد بدلا من ان تبنيه طبقا للواقع ، وفي التشخيص الذي يقوم على المبالغة محافظا في كل لحظة على طبيعته ك (تشخيص) لا كتقمص او تمثيل ، اضافة الى الغناء والرقص اللذين يقطعان الاحداث ، ويخففان التوتر بحيث تشيع البهجة ، وتظل المسافة قائمة بين المتفرج والادوار التي تشخص امامه .. لهذا .. حتى نستعيد جوهر العرض المسرحي كما كان تلك الايام ، لا بد من المحافظة على هذه العناصر في اخراج مسرحية القباني : فجاجة الديكورات والملابس الفاقعة الالوان ، ومبالغة المشخصين ، والاستفادة من عنصري الرقص والغناء بشكل جيد . ومن جهتي حاولت ان انشيء ،او اتصور مجموعة من العلاقات بين متفرجي ذلك الزمان والاحداث التي تجري على الخشبة ، وضعت على السنتهم بعض التعليقات ، وادرجتهم في وقائع ربما لم تكن وثائقية ، لكني متأكد ان وقائع مشابهة كانت تحدث دائما في تلك السهرات ، كما ابقيت الملقن على الخشبة حتى تكون العلاقة بينه وبين المشخصين واضحة تعمق فكرة التشخيص وتؤكدها . . الا ان كل ذلك لا يعفي المخرج نفسه من القيام ببحثه الخاص

ـ ربما في المقاهي او في المسارح الشعبية الرخيصة او في الاحتفالات التي تقام في الاحياء القديمة ـ عن عناصر اخرى تتيح لنا ان نستعيد بشكل اغنى وأدق جوهر العرض القديم .

وهنا لا بد من التنبيه الى نقطة هامة جدا ، فقد يكـون مغريـا بالنسبة للمخرج ، وهو يقدم ذلك الاسلوب القديم، ان يجنح نحـو الكاريكاتيرية المفرطـة التـي تبتز الضحـك والسخرية ، لكن هذا يسيء جدا الى غايتنا الاساسية ، فما نريده هو بعث الطابع الاحتفالي المبني على تفاعل عميق مـع المتفرجين وليس الهزء بنقص امكانيات العرض وضعف وسائله التكنيكية ، وبعض المظاهر التي قد تبدو لنا الآن سذاجـة وقصورا ، علينا الا ننسى اطلاقا ان تلك الاجواق التي تشكلت بالحماسة ، وبدات دون معين من ثقافة وعملت في ظـروف قاسية ، استطاعت ان تجعل من العرض المسرحـي حدثـا اجتماعيا .. واننا بعد قرن من الزمـان لا زلنـا نحاول ، وغالبا دون كبير نجاح ، ان نجعل من عرضنا المسرحي حدثا اجتماعيـا .

اما المستوى الثاني لهذا العمل ،فهو المجريات الوثائقية والتاريخية التي تحكي قصة القباني منذ بدايـة تجربتـه المسرحية وحتى قيام الرجعية باغلاق مسرحه واحراقه. هنا استخدمت المشاهـد القصيرة التي يشكل تتابعهـا مجرى الزمن ذاته ، ولا بـد أن يكون الاخراج في هذا الجزء مختلفا ومتميزا .. يعتمد الاسلوب الموضوعي في الاداء والايقـاع السريع الحي ، بحيث يبدو وكأنه الطرف المقابل للجـزء الآخـر .

ب ـ لاحظت وانا انقب في المراجع القليلة عن حياة القباني وتجربته في دمشق ، أن من الصعب فهم هذه التجربة معزولة عن الفترة التاريخية التي نشأت فيها ، اي لا بد من الالمام الى حد ما بالاوضاع السياسية والاجتماعية والتيارات التي تواجه الناس في تلك الفترة حتى ندرك ببعض الدقة معنى تجربة القباني ، والاسباب التي ادت الى ايقافها . لهذا تعمدت ان اتوسع في المشاهد التي تحاول تصوير ذلك الواقع وتلك الفترة المعروفة بشدة اضطرابها وقلقها . . فنهاية القرن التاسع عشر هي بالذات بداية النهضة العربية، وقمة تحلل الدولة العثمانية . ولا ريب ان قيام المسرح هو في جوهره جزء من تلك النهضة التي اثرت وتأثرت بالاوضاع آنذاك ، وفي مقالي (لماذا وقفت الرجعية ضد ابي خليل القباني) ايضاح واف لهذه النقطة ، الا ان ما يهمني الآن من الناحية المسرحية هو الاشارة الى ان محاولتي تقديم تلك الشريحة التاريخية العريضة ربما ادت الى تطويل في المسرحية قد يمد وقت العرض اكثر مما يجب ، او يؤثر على ايقاعه ، لذلك اذا اقتضت الضرورة يمكن اختصار بعض المشاهد بما لا يربك الصورة العامة عن العصر واتجاهاته.

جـ ـ في هذه المسرحية طبعا اشخاص حقيقيون مثل القباني ، وسعيد الغبرا ، ومحمود العمري ، واسكندر فرح، والولاة ، وسواهم ، لكنني اريد التنبيه الى ان هؤلاء الاشخاص لا يعنيني فيهم تكوينهم النفسي ، ولا خصائصهم الانسانية من الناحية الوثائقية البحتة ، وانما اقدمهم هنا كممثلين لتيارات فكرية معينة ، ولاطراف في قصة لا نعرف عنها الا خطوطها العامة . . فالشيخ سعيد الغبرا مثلا ليس

مقصودا بذاته ولا تهمني خصاله كفرد وانسان .. وانما هو صورة لاتجاه فكري معين وطرف في قصة حدثت ، كذلك يمكن القول عن الآخرين .. ولهذا لا مجال للبحث فيهم كأفراد او كشخصيات عاشت وكان لها تكويناتها وامزجتها الخاصة . ان الاهتمام بهذه الملاحظة سيفيد المخرج كثيراً في تحقيق ما سميته الاداء الموضوعي في هذا الجزء من المسرحية .

د ـ هناك امكانيات عديدة لتقديم « فصل الولاة » في هذه المسرحية . والاسلوب الذي اتبعته في خروج الممثل ودخوله ، ليس الا اقتراحا اوليا ، والتقيد به غير ضروري .

سعدالله ونوس

الجزء الاول

(تنصف المسرح ستارة واطئة تمتد على طوله ، فتقسمه الى مساحتين ، واحدة في المقدمة والثانية في العمق ، ويمكن تأكيد هذا التقسيم عن طريق المستويات ، على الستارة صورة كبيرة تمثل دمشق القديمة ؛ الصورة مليئة بتفاصيل من مظاهر الحياة الاجتماعية تلك الايام الجوامع التي تبدو بمآذنها ككتل معمارية ساحقة تمد ظلالها على البيوت ذات المشربيات والساحات التي تتوسطها المناهل والحواري والمقاهي التي يحتشد فيها الرجال وتتصدر معظمها خيمة الكركوز ، الاسواق والحمامات .. و .. ينبغي ان تظهر بوضوح البقعة التي قام فيها مسرح أبي خليل القباني .. فهناك قلعة دمشق بقسوتها وجهامة مظهرها وخلفها الساحة الصغيرة التي يوجد في احدى

زواياهـا خان الجمرك حيث اقيـم مسرح القبانـي .

امام الستارة في المقدمة، المسرح فارغ .. تبدأ المسرحية منذ بدء دخـول المتفرجيـن فالمنادي يبدأ من باب المسرح .. يدور فـي الاروقة وممرات الصالة معلنا عن السهرة ، تجواله يستمر طوال الفترة التي يستغرقهـا دخول المتفرجين ولا بد ان يبدو ذلك طبيعيا وعفويـا . احيانا يتوقف .. يتحدث مع بعض المتفرجين ويرحب بهم ... يحث بعضهـم الآخر على الاسراع .. ينبه الى بعض اللياقات الضرورية في المسرح ، يجيب على الاسئلـة والتعليقات التي تصدر احيانا من الصالة ..)

المنادي : يا ســادة يا كــرام
من يدخل مسرحنا يغنم
ومن يتردد يندم
سهرتنا اليوم فيها عبره .. فيها متعه
فيهـا غناء ورقص وتشخيص
يا سادة يا كرام
تفضلوا و لاتترددوا
السهرة مسلية ومفيدة
فيها حكاية خيالية ، وفيها حكاية واقعية
سترون هرون الرشيد مع الاميرغانم بن ايوب
وقوت القلوب

قصة غرامية ادبية تلحينية تشخيصية
التفهـا الشيخ احمد ابو خليل القباني
من التاريخ القديم استلهمها
حبكها ولحنها ومع فرقته شخصها
سترون ايضا قصة القباني مع الشيخ سعيد الغبرا
الشخصيات حقيقية والوقائع ثابتة
حكايـة واقعيـة
جمعنا خيوطها من الوثائق والاخبار
وسنعيد تمثيلها امامكم هذه الليلة
يا سادة يا كرام
تفضلوا ولا تترددوا
سنسترد معكم تراثا ضيعه الاغبياء والجهلة
وسنحيي ذكرى فنان قاسى وضحى
ذكرى الرائد المسرحي ابي خليل القباني
من يدخل مسرحنا يغنم
ومن يتردد يندم
سهرة فيها عبرة .. فيها متعة
فيها غناء ورقص وتشخيص

(لا يزال المنادي يتجول في الممرات مكررا نداءه ، يقف ممثل يلبس شروالا وصدرية ويضع لفة على راسه ، على احد مداخل القسم الفارغ من الخشبية ، انه يمثل قاطع التذاكر في مسرح القباني القديم ، يأتي رجل تبدو عليه علائم الوجاهة يلبس سترة وسروالا من

الجوخ ويضع طربوشا انيقا ، يتعدى قاطـع التذاكـر باهمال) .

قاطع التذاكر : (يتبعه مرتبكا ، ويستوقفه) يا اهلا وسهلا . . . . شرفت ونورت . . لكنك نسيت ان تدفع .

الرجـــل : (متعاليا بغضب) ماذا تريد ان ادفع ؟

قاطع التذاكر : اجرة الدخول الى المرسح . .

الرجـــل : (منفجرا) اجرة دخول ! انا محمـد فتح الله تطلب مني اجرة دخول . لا . . هذه كبيرة . اين الشيخ القباني ؟ كيف يضع علـى الباب اغبياء لا يعرفون قيمة الناس ومقاماتهم ! اجرة دخول من محمد فتح‌الله . . اما قلة ذوق . .

قاطع التذاكر : (بتلعثم) العفو يا سيد محمد . . لم اقصد . .

الرجـــل : اخرس وامش . . سيكون لدي ما اقوله لمعلمك (يتركه ويتجه الى احد المقاعد) اصبحـــوا يطالبون محمد فتح الله باجرة دخول . امـــا قلـــة ذوق !

(يجلس الرجل على اليمين في مقدمـــة الصالة ، يظل قاطع التذاكر في وقفته لحظات ثم يعودالى مكانه‌وهو يهز رأسه . . طبعا يمكن ان توضع لهؤلاء الذين سيمثلون متفرجي ذاك الزمـــان مقاعد منفصلة عن مقاعد الصالة وان

يكون لهم حضور متميز ومنفصل لكني افضل
ان يختلط الذيـن يمثلون متفرجي تلك الايام
مع متفرجي اليوم ، وان يتوزعوا مقاعدهم في
مقدمة الصالة بين الناس ، ذلك يوثق ارتباط
الماضي بالحاضر ، ويعطي السهرة اندماجا
اشـد وامتـن) .

المنـــادي : يا سادة يا كرام
من يدخل يغنم ، ومن يتردد يندم
سنغلق الابواب ، ونبدأ التشخيص
لم يبق سوى لحظات
اسرعوا يا كرام يا اسياد

(يأتـــي ابو حرب قبضاي حارة ومعـــه
تابع ، كل منهما يحمل خيزرانة وعلى رأسه
حطاطة . ينحي ابو حرب قاطع التذاكر بحركة
فظة .. يدخل ومعه تابعه) .

قاطع التذاكر : (مرتجفا باستسلام) اهلا وسهلا .. عمرت
الديار ... ولالات الانوار ..

(يجلسان في الجهة اليمنى من مقدمة الصالة)

المنـــادي : ياللـه يا أسياد
لحظات ونغلق الابواب

(يأتي رجل ينم مظهره عن حال متوسط)

قاطع التذاكر : الدخول بنصف مجيدية ...

الرجــــل : تكرم (يناوله الاجرة) .

قاطع التذاكر : استبفتاح كريم .. تفضل .. تفضل ..

(يصل « ابو فهد » قبضاي حارة يحمل خيزرانة ومشكول في زناره الملون خنجر).

قاطع التذاكر : (يحاول ان يستوقفه) اهلا وسهلا .. الاجرة نصف مجيدية لكل من شرف ودخل .

ابو الفهد : ولكن .. انا ابو الفهد لا سواه (يرفع خيزرانته) هذه الايام سمعي خفيف .. ماذا قلت ؟

قاطع التذاكر : لا شيء .. لا شيء .. نور ابو الفهد ليلتنا .. تفضل ..

(عندما يصل ابو الفهد حذاء ابي حرب وزميله يفتل شاربيه، ويرمقه بنظرة ذات معنى يتنحنح البعض .. يجلس ابو الفهد في الزاوية الاخرى من الصالة مقابل ابي حرب .
يلوح على الجو التوتر ..
تخفت الاضواء) .

المنادي : وهكذا كان الحال يا سادة يا كرام منذ مائة عام في اول مسرح انشاه الشيخ احمد ابو خليل القباني . لم يكن يدفع الا المساكين ومتوسطو الحال.. الاغنياء والاعيان يدخلون بالمجان.. واذ يطالبهم البواب بالاجر تعلو الصيحات، وترتفع في الجو الخيزرانات .

ابو حرب : ما جئنا لكـي تسلقونا ..

تابعــه : يالله .. ازح هذا الستار والا مزقـه المعلم ..

اصوات : اين المشخصاتية ؟
ـ اين الطرب ؟
ـ يالله ...

المنـادي : (يقفز الى المسرح) حاضر .. حاضر .. سينزاح الستار في الحال .. نرجو ان تعمر نفوسكم الافراح .. وان تكون الليلة مناسبة للمسرة والتصافي (يصفق) اغلقوا الابواب .. واطفئوا الانوار (يدق الارض ثلاث دقات .. ثم يتجه الى الستارة التي تنصف المسرح، فيزيحها) والآن سترون قصة هرون الرشيد مع الامير غانم بن ايوب وقوت القلوب ، روايـة غرامية ادبيـة تلحينيـة تشخيصية .

(بعد ازاحة الستار يظهر المثلون بملابسهم المسرحية وهم يقفون صفا واحدا في مقدمـة المسرح يبدأون نشيد الافتتاح ، بينما ينزوي المنادي في الزاويـة اليسرى من مقدمـة المسرح) .

المثلـون : (معا في نشيد الافتتاح متوجهين الى الجمهور):
مرحبا اهلا وسهلا ايها القوم الاجلا،
انكم انستمونا ، انكم شرفتمونا . كرما يا نخبة القوم الكرام .

دور

قد بدا بدر التهاني وانجلى صبح الاماني
وشدا طير انهناء فوق افنان الصفاء
وكؤوس الانس قد اضحت تدور
مذ زرتم يا اسياد يا امجاد يا اجواد واتيتم بالانعام والاكرام .
فلنهد لكم ازكى ثناء وسلام .

(يتراجع الممثلون .. اظلام .. ثم يكشف الضوء عن هيئة برية وبها قبور واشجار وغانم بن ايوب واقف بين القبور) .

غانم :

امسيت بين رموس لا ارى احدا
فاشتد خوفي وصبري اليوم قد عدما
انا الملوم بما فرطت واأسفي
ليس المخاطر محمودا ولو سلما

لا حول ولا قوة الا بالله ، اتيت من بلاد الشام بتجارة والدي ايوب الهمام ، ومكثت في ارض بغداد ، فبعت وربحت حتى توفي في هذا النهار صديقنا التاجر عبدالغفار وخرجت بجنازته مع سائر الناس ، ومكثت على قبره الى الآن ، وعند رجوعي الى البلد ما وجدت بطريقي احد ، ووجدت باب المدينة مقفولا ، فازددت هما وذهولا ، رجعت وانا في الشدة وقور وعلى المكاره صبور .

الهي سيدي مولاي كن لي   فقد فارقت خلاني واهلـي
مقرا بالذنوب وسوء حالي   اتيت لبابك العالـي بذلـي
فان لم تعف عن ذنبي فمن لي

كم غريب يحن الى وطنه ، ونسيب يحن الى مقامه ، ولكن آه من هؤلاء المقبلين ، ويقتربون من مكاني ، واخشى ان يقتلوني ، لم يبق لي الا الاختبـاء .

(يتسلق شجرة ويحاول الاختفاء بين غصونها واوراقها . يدخل جملة من العبيد يحملون صندوقـا) .

متفـرج : خبىء راسك يا رجل والا كشفوا امرك .
(غانم يخبيء راسه) .

هـلال : هيا يا اخي مسعود لننفذ ما امرتنا به الملكة زبيدة ، ونضع هذا الصندوق في المغارة .

مسعـود : نعم يا اخي ثم نذهب بالعجل قبل ان يرانا احد .
(يضعون الصندوق في المغارة ويذهبون . ينزل غانم من فوق الشجرة)

غـانـم : الهي وفقني من الاستمساك بما يقربني اليك . . واعصمني من الاسترسال فيما يبعدني عنك . . الآن انشرح خاطري ، وتوفرت مسراتي بنجاتي والسعيد من تدبر عواقب الامـور بالانتظار ، وتلقى الاشياء عن طريق الاعتبار ، فالحمد لله على خلاصي ، لو رأوني لقتلوني ولكن ليت شعري

ما الذي في هذا الصندوق الذي تركوه .. لا بد انه مال سرقوه .. وبعد قليل يأتون اليه ليخرجوه.. ينبغي علي ان ادخل المغارة وانظر ما في الصندوق .

(يدخل غانم المغارة، ويكشف غطاء الصندوق فيبدو عليه الفزع والانبهار) .

غانم : هه .. ما هذا .. انها غادة حسناء وجميلة هيفاء .

متفرج : سبحان من يرزق بغير حساب .

متفرج ٢ : اللهم ارزقنا .

غانم : (متابعا بانبهار) بدر محياها فتان ، كأنها من الحور الحسان ، وهي مغمى عليها فياليت شعري من اوصل هؤلاء الخدم اليها ، لا بد لها من شأن .. ولكن ما ابدع هذا الجمال الفتان.

متفرج : اي انكشها خلينا نشوف .

غانم :

وعذري الهوى العذري وهو يمين
به مقسم التبريح ليس يمين
لافتك من ضرب الصفاح تبين
عيون على السحر المبين تبين
يسالها العشاق وهي تخون

ما اجمل هذه العيون المراض الصحاح ، وهذا القد الذي يزري بالرماح، فياليت شعري

هذه ابنة من في الانام، وما سبب وقوعها في هذه الآلام .. آه .. اظنها انتبهت .
(تنهض قوت القلوب من الصندوق ، يبدو عليها الاعياء .. صفير في الصالـة وتعليقات : سبحان الذي خلق .. يا عينـي ... الخ) .

قوت القلوب : (وهي تستفيق) الا يا نسيم ما فيك ري للظمآن، جميلة .. جليلة . يا بنات.. ويلي مـن أتى بي من بين الستور ووضعني بين القبور .. لا أعجب فالدهر ابو الغرائب ، ولا ينفع حذر مع قـدر .

اخلاي من لي والزمان اضاعني
اطال عذابي وانتحابي وخاننـي
اخلاي من لي ان دهري خانني
وضـاع فؤادي واصطباري وزادنـي
على اسفي حزنا وذبت من الوجد

متفرجـون : ــ ما صـار .
ــ كمـان .
ــ تقبري عظامي ما صار .
(تتوقف قوت حائرة) .

الملقـن : من انت أيها الاخ الكريم ..

قـوت : من انت ايها الاخ الكريم والصديق الحميم ؟

غـانم : انا عبد جمالك الزاهي ، انا غانم بن ايـوب ،

ساقني اليك علام الغيوب لانقاذك من هـذه الكـروب .

قـوت : اوليتني الاحسان ، وسلكت بي طريق الامتنان، من الهلاك انقذتني ، وبفضلك غمرتني ، ولكن اقسم عليك ان تخبرني بما جرى لي ، من اتى بي الى هنا ورماني في الشدة والضنا . .

غـانـم : حفظ الله طلعتك المحروسة . . ان جملـة من العبيد اتوا بك الى هذا المكان وانت فـي الصندوق يا ربـة الحسان .

قـوت :

بكيت على نفسـي وزاد تاسفا
لما بي ولي قلب من انهم فـي شجن
عتبت على الدهـر الخؤون لانني
بكيت دما لو كان سفك الدما يغنـي
ارى العيش في الدنيا كأحلام نائم
فلذاتها تقضي واقدارهـا تضنـي
يا زمان اهنتني ، وفي البلاء اوقعتني

ابو حـرب : (من الصالة) باطـل .

قـوت : ارحم فتاة يجرح النسيم خديها ،وقدجارالزمان عليها ، ازدادت بلوتي واشتدت مصيبتي، فمن فعل بي هذه الفعال ورماني فيهذا الحال .

ابو حرب : يهون مائة قتيل من اجل عينيك .

قـوت : (تربكهاالتعليقات) الهيماهذا الحال فقد ذقت

من الوبال . . اغتنم اعدائي الفرصة حتى فعلوا بي ما فعلوا ، وعن طريق الاستقامة عدلوا .

غـــانـم : يا شقيقة البدر ، ودرة هذا العصر ، انفضي عنك الاحزان واجعليها في خبر كان ، تحققي مـن حسن نيتي ، وخلاص طويتي .. واوضحـي لي حقيقة امرك .

قـــوت : ما هذا وقت اخبارك بقصتي ، فخذني الى دارك وبعدها اخبرك بحقيقة الحال .

متفـــرج : العمى .. فورا الى البيت ؟

تابع ابوحرب : تتركين سيد الرجال ، وتذهبين مع ولدمرقوع ؟

ابو حـرب : يا روحي ، هذا بغو لا يعرف كيف يفك سرواله .

(يتوقف الممثلان عندما كانا يتاهبان للخروج ، التعليقات تخلق جوا متوترا .. فجاة ينهض ابو الفهد ونذر الشر تتطاير من عينيه) .

ابو الفهد : ما هذا التهريج ؟ في الحضرة رجال .

ابو حـرب : (ينتفض ومعه تابعه) من يرفع صوته ؟

ابو الفهـد : الا تعرفني ؟ .. سارفع خيزرانتي ايضا اذا لم تلزموا الادب .

ابو حـرب : يريد ان يعلمنا الادب .. ليكن اذن .

« ترفع الخيزرانات ، يهجم احدهما علـى الآخر ، وتعم الفوضى ، يندفع المثلون بثياب

التمثيل من الكواليس الى الصالة للتفريق بين المتعاركين . بينهم طبعا ابو خليل القبانيالذي يمثل دور هرون الرشيد .. يبذل الممثلون جهدا كبيرا في ايقاف العراك متعرضين هم انفسهم لضربة او دفعة او تمزيق ملابس .)

الممثل : ـ العقل زينة الرجال يا اخوان ..

اصوات المتعاركين: ـ ساحطم راسك .
ـ انا ابو الفهد .
ـ بل ابو الارنب .
ـ خذ اذن .
ـ خذ ..

القباني : ابوس شواربكم لا تفسدوا علينا السهرة .

ممثل : لعن الله الغضب واعماله .
(ينجح الممثلون في السيطرة على العراك) .

ابو حرب : اتركوا يدي .. ابعدوا عني .

ابو الفهد : دعوني .. سأربي بهم كل ازعر .

ممثل : (وهو يمسك ابا الفهد)اعصابك يا أبا الفهد.. نعرفك وسيع الصدر .

القباني : ردوهم ولا تتحركوا (بلهجة مصالحة)يا جماعة انتم ضيوفنا .. ومن المعيب لصاحب الدار ان يقتتل ضيوفه (متجها نحو ابي الفهد) ايهون عليك يا أبا الفهد ان نهان في البلد .. كرامة

لذقن اخيك ابي خليل . . اجلس في مكانك .

ابو الفهد : (يلين) زادت عن حدها يا ابا خليل .

القباني : لا يصلح الغضب شيئا . . اجتمعنا للسرور فلا تخربوا جمعنا . . ارجو ان تهدأ وتجلس .
(يجلس ابو الفهد . . يتجه القباني نحو الاخر)
وانت يا ابا حرب اما عندك لي كرامة ؟

ابو حرب : لسنا البادئين بالتحرش .

محمد فتح الله: على كل . . هذه هي السهرة في المواخير . .

القباني : (كالملسوع) يا عيب الشوم يا سيد محمد . . اتسمي المرسح ماخورا ؟ لا عتب اذن على الجهال . . على كل حال ستأتي الايام وتكشف قيمة ما نفعل . . المهم ان ننسى الآن الخلافات والاحقاد ، وان نترك البهجة تؤلف بيننا (الى الممثلين) يالله يا اخوان . . قبل متابعة الرواية . . اسمعوا ضيوفنا اغنية التصافي والوئام .
(يصعد الممثلون ومعهم ابو خليل الى مقدمة الخشبة . . اثناء العراك . . ثم الاغنية ، وعلى ضوء خافت يتم تغيير المشهد على المسرح الداخلي) .

الممثلون (معا) :

بالمحبة والصفاء	يخفق القلب فهيتا
نحتسي دوح الاخاء	بهناء وسرور

نلنــا بالحب منانــا وبــه نــار عــلانــا
هيــا قــد تم صفانا نجتلــي وجه الحبور

(بعد الاغنية يتجمد المنظر على كلام المنادي الذي ينهض من ركنه) .

المنــادي : هكذا كانت تتوقف السهرة عندما تبدأ لعبــة الخيزرانة ، يترك المشخصون ادوراهــــم ويندفعون ليخلصوا بين المتعاركين . . يتوسلون بالكلمة الطيبة ، واحيانا بالاغنية حتى تهـدأ الخواطر ، ويعود الجميع الى مقاعدهم ، كــان المتفرجون يأتون حارات حارات يتسلون عن الفقر بالخصومات والعاب القبضايات ، وكان ابو خليــل القباني يلاقي عناء شديدا كيــلا تفســد هذه الالعاب روايته أو توقف سهرته .
(ينسحب الممثلون بينما يكون المنظر قــد تغير ، اصبح يمثل قصر الملك وبه قبر تقف الى جــواره عجوز) .

عجــوز : قد تمت الحيلة ، وساعدني علــى ذلك رب الخليقة ، حتى بلغت سيدتي زبيدة غايةألامل، فالخليفــة يحب جاريته قوت القلوب محبــة زائدة ، ولا يصبر عليهــا دقيقة واحـــدة فاستولت على زبيدة الغيرة ، عند ذلكطلبت مني الاعانة فاعنتها (تتوقف مرتبكــة وتنظر تجــاه الملقــن) .

الملقــن : (هامسا) بنجت قوت القلوب . . واستحصلت على كل المرغوب (تقترب منه العجوز لانها على ما يبدو لم تسمع .. فيكرر الملــقن بصوت اعلى) بنجت قوت القلوب واستحصلت على كــل المرغــوب ...

عجــوز : اي . . اي خلاص (تعود الــى التشخيص) بنجت قوت القلوب واستحصلت على كــل المرغوب .. ثم ارسلتها مع جملة من العبيد، فذهبوا بها الى مكان بعيد . . ولخوف الملكة من خليفة العصر ، صنعت لها قبرا في هذا القصر .. ودفنت فيه شخصا من الخشب وقد اعلنت موت قوت القلوب بين الكبــار والصغار .. واليوم يعــود الملك من الصيد والقنص ، وكل ما يلزمني هــو ان استحضر الجواري ليندبن على قبرها عند دخول الملك، وبذلك نتمم سبك الحيل ونقطع منه الامل .

(تدخل جميلة وهي احدى الجواري)

متفــرج : آه . . يا جيزبون النحس .

متفــرج : اعوذ بالله من كيد النسوان .

جميلــة : سيدتي زبيدة تقرئك السلام ، وترغب منــك الحيل لان الخليفة آت على عجل .

عجــوز : قولي لها ان ترسل الجواري الى هــذا المكــان ليندبن معي وينشدن الالحان .

جميلة : (وهي تخرج ، لنفسها) اف لهذه الماكرة التي غدرت بقوت القلوب واذاقتها الكروب .

(لحن .. الجواري يدخلـــن بالغناء .. يتوزعن حول القبر .. يتخذ حضورهن طابع المأتـم) .

الجـواري :

اسفا عليك يا قوت القلوب
من ذواك قد نمت منا الكروب
ويحنا الدهر علينا قد سطـا
انما الحكـم لعـــلام الغيوب

(يدخل هرون الرشيد بمهابة مبالغ فيها.. تنحني رؤوس الجواري ويتوقف الغناء فترة).

متفـرج : هـو ذا الخليفة هرون الرشيد .

متفـرج٢ : علي الطلاق لو قلت عني هرون الرشيدلصدقك الناس اكثر .

متفـرج : هذا اللباس لا يكون الا للخليفة .

(تتجه الجواري نحو هارون الرشيد ،يتابعن الغناء).

الجـواري :

مرحبا اهـلا وسهـلا بالهمام
المليك الامجـد سامـي المقـام

فتعزى سيــدي فيمــا مضى
وتسل مــن بهــا قوت القلوب
قد ذوى غصن محياها الرطيب
واختفى بدر محياهــا العجيب

هرون الرشيد: ماذا اسمع ؟.. قوت القلوب ذوت وماتت .. وا رحمتاه لسقيم عز دواه وزاد به الحزن مــا دهـــاه

هلما الى قوت وقولا لقبرها
سقتك الغوادي مربعا ثم مربعا
فيا قبر قوت كيف واريت حسنهــا
وغادرته قلبا هام حتى تصدعا
سأسقيك من عيني بكل دقيقة
مذاب فؤاد بالفــراق تقطعــا

(ثم يسقط هارون الرشيد مغشيا عليه على حافة القبر) .

الجـواري : (بفزع) ويلاه .. هدّته الآلام فأصابه السقام .. (يلتف الجميع حول الخليفة ... تحـــاول الجواري ايقاظه والتخفيف من آلامه) .

متفــرج : ملك بسلطان وجاه ينهدّ لخاطر جارية ؟

متفــرج٢ : العشق قتّــال .

متفــرج : كان في قصره الف جارية .. الا يكفيه !

الجـواري : (غناؤهن يطغى على التعليقات)

اسل يا فخر الموالي يـا عميـم الكـرم
واسل عن ذات الدلال يـا وافر النعـم
انما الدهـر زوال يا كريـم الشيـم

(يدخل جعفر المنصور بينما ينهض هرون الرشيد من اغمائه) (١) .

جعفـر : السلام على الملك المعظم والشهم العادل المكرم .

هـرون : وا أسفاه ،وا حر قلباه يا جعفر .. وقعنا في اعظم المصائب . وحلت بنا جميع النوائب .. قوت القلوب .. آه .. قوت القلوب .. لقد عظمت لفقدها الكروب .

جعفـر : ايها السيد السديد والكامل الرشيد ، اسألك بالذي رفعك الى هذا المقام ان تتصبر علـى المصائب ، وتتجلد عند حلول النوائب .

هرون : اصبر على الدهر الجاني الذي لم يـرع حقي ومكاني ، فحتام هذا الحال الشنيع والام هذا الحزن المريع ، قوت القلوب كانت في مودتها لي أنيسة ، فأخذتها مني المنية ، اعلن الحداد العام يا جعفر في القصر وفي سائـر انحـاء الدولـة .

متنفـرج : العمى .. حداد عام من اجل جارية ؟

---

(١) هذا المشهد غير موجود في الاصل .

جعفر : (مرتبكا) لا ينبغي لمولانا السلطان كثرة الهموم والاحزان ، على جارية مرغوبة وغادةمحبوبة وفي قصره اجمل منها وشؤون الدولة كثيرة ، وتصريفها لا يستقيم الا بحكمته السديدة .

هرون : دعني من تصريف شؤون الدولة يا جعفر .. فقلبي يشتعل وفكري منشغل .

جعفر : يا ذا الجلال ومعدن الجود والافضال .. قلبك اشد من المصائب ، وفكرك لا تؤثر في صفائه النوائب .. هناك شؤون عاجلة وتدبيرها لا يتم الا بهمتك العالية ؛ عامل مصر لم يرسل الخزنة وابن سليمان يرتكب المظالم في البصرة .. واصحاب الحاجات يتزاحمون على بابه الديوان منذ خروجك للصيد والسلوان .

هرون : قل لمسرور ان يذبحهم جميعا ، عامل مصر ، وعامل البصرة واصحاب الحاجات ، وفوقهم جعفر الوزير ، فامض من قدامي واتركني لاحزاني .

جعفر : (ينسحب مذعورا) امرك مطاع ايها الملكالهمام.

هرون : ما لي وهذه الامور السقيمة الآن،يكفيني بلائي العظيم ، وشقائي الجسيم ، قوت القلوب اتذكر حسن زمان مضى ، وعيش بالسرور

قد انقضى .. اكشفوا لي عن قبرها ،لأرى ضجيعهـا في سرهـا .

عجـوز : (خائفة) هذا حرام يا سامي المقام ،فاسل من اختارها لمولى ، الا من استصلح واصبر علـى احكامـه .

والله لا يدعـو الى داره   الا من استصلح من ذي العباد

هرون : ايتها الجواري ، ازدادت اشجاني ، وتلهبت نيراني ، ولا يمكن ان ابرح مكاني .. دعوني هنا سأنام ، ولعلي اراها في المنام ..

(يحملن فراشا للملك يضطجع عليه ثم يخرجن)

متفـرج : العمى ستخرب هذه الجارية دولة بني العباس!

متفرج٢ : خربت وخلاص .

متفرج٣ : اما ملك ! يترك شؤون الدولة ومشاكلها كرمال زانيـة .

متفرج٤ : عيب يا ناس .. هرون الرشيد كان خليفـة للمسلمين .

متفرج٣ : اي لا تواخذونا .

محمد فتح الله : ويمسـخرون خلفاء المسلمين .. والله انهـا لكبيرة يا ابن القباني .

(تدخل جليلـة وجميلة وهما من الجواري ، تريان الملك فيبدو عليهما الاشفاق)

جليلـة : اظن ان مولانا ليس له علم بما جرى حتى يحزن على قبر خال ، ليس فيه الا خشبة مصنوعة وبيد العجوز موضوعة .

جميلـة : واي شيء اصاب قوت القلوب ؟

جليلـة : ارسلت السيدةزبيدة من يبنجها ،وفي صندوق يضعها ، ثم اعطتها لجملة من العبيد فذهبوا بها الى محل بعيد، وعلى ما بلغني اخذها شاب من بلاد الشام يدعى غانم بن ايوب .

(هرون الرشيد يعتدل من ضجعته ويصيخ السمع) .

جميلـة : اذن لم تمت قوت القلوب ؟

جليلـة : لا . . .

جميلـة : ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا . .

هـرون : (ناهضا) ويأتيك بالاخبار من لم تزود . . الم تمت قوت القلوب ؟

جليلـة : سلامتها يا مولاي من الموت .

هـرون : ومن اين لك هذا يا جليلة . . كيف عرفت ان ما جرى محض حيلة ؟

جليلـة : سمعت ذلك من بعض الزائرين الى القصر .

هـرون : ابعثا الي فورا بجعفر ومسرور .

الاثنتـان : (وهما تخرجان) امرك يا معدن السرور .

هـرون : لا حول ولا قوة الا بالله ، اشغلت بالي على قبر خال .. وجاريتي عند غيري مقيمة ، لعمري ان حالتي ذميمة ، ولا شك انهما تواصلا ، فالويل لهمـا ولا بد من قتلهمـا .

(يدخل جعفر ومسرور .. لا يزال الخوف يبدو على جعفـر) .

هـرون : علمت يا جعفر الخبر اليقين ، عرفت ما جرى لقوت القلوب ، وظهر لي ما دبرته تلك العجـوز الغادرة اذ فعلت بجاريتي ما فعلت ، وقالت انها دفنت ، فاذهب وفتش عن رجل اسمه غانم بن ايوب ، اقتله بلا مهل واحضر جاريتي على عجل ، واذا لم تجده فاكتب لعامـل الشام ان يقتلـه ويذيقه الاعدام ، وانت يا مسرور اذهب واقتل العجـوز .

مسرور : امرك يا معدن الاحسـان .

جعفـر : وانا سأسير من الآن ، وافتش عن ذلك المهان .

جعفر ومسرور: (يغنيان وهما يخرجان) :

اي نعم هذا هـو الحق ولا
غيره يجـدي لابـلاغ الارب
فلنسر بالحزم والعزم على
سرعة كبـرى مجديـن الطلب

(يســدل الستار الداخلي ، فتظهر صورة دمشـق القديمة .. ينهض المنادي ، ويتجـه الى الجمهور.. اثناء كلامه ينسل الذين يمثلون متفرجي ذاك الزمـان الى الكواليس .. في المشـاهد القادمة الايقاع سريـــع ، والاداء موضوعي .. كما تلعب الاضاءة دورا اساسيا في تمييز المشاهد وتتابعها) .

المنــادي : والى ان يجد الوزير جعفر «غانم بن ايوب »، ويرد للخليفة هرون الرشيد جاريته الضائعة نغتنم الفرصةلنقدم فصولا من الروايةالاخرى، رواية واقعية عن حياة ابي خليــل القباني ، وكفاحه الطويل لانشاء مسرح فـي دمشق ، ونقول لكم بامانة .. الوثائق هزيلة ، والاخبار قليلة ، لكننا حاولنا بما تجمع لدينا ان نظهـر الملامح الاساسية في تلك القصة ، ونرســم صورة تقريبيــة للعصر الذي ظهر فيهالقباني.

(يدخل ممثل وممثلة يقفان في مقدمــة الطرف الآخــر من المسرح) .

المنــادي : يا سادة يا كرام .. بــدات القصة حلمــا ، والاحلام غالية الثمن اذا تقدمت عصرهـــا واوانهــا .

الممثلــة : كانت البداية عام ١٨٦٥ .

الممثــل : في تلك السـنة كما يقول المؤرخون بدا الشيخ

احمد ابو خليل القباني اولى محاولاتــــــه المسرحيــة .

الممثلـة : الف رواية « ناكر الجميل » ودرب عليهـــا اصدقاءه وقدمها فــي بيت جده .

الممثــل : كان مارون النقاش قد سبقه في لبنان ، ففي ١٨٤٧ اسس جوقا من اهله ودربهمعلى روايته الاولــى .

الممثلـة : لكن مارون النقاش توقف بعد فترة قصيرة ، وترك لنا نبوءة يائسة بأن دوام هذا الفــن في بلادنا امر بعيــد .

الممثــل : ولم تصح النبوءة ، فبعد سنوات قليلةظهر في دمشق رائد جديد ، وبدأ الحلم مرة اخرى .

المنــادي : كانت البداية عام ١٨٦٥ .

الممثــل : في تلك السنة ، جمع القبانــي بعضا مـــن اصحابــه ودربهم على روايتـــه الاولـــى « ناكر الجميل » .

الممثلــة : قدمها في بيت جده امام جمــع من الاقرباء والاصدقاء واهل الحي ، لاقت السهرة نجاحا مشجعا ، اندهش الحاضرون وسرهم مـــا شاهدوا من حسن التشخيص، وما سمعوا من الغناء والتلحين .

المنــادي : فبدأ الحلم يكبر .

(تسقط بقعة ضوء على يسار المسرح، فنرى ابن خليل القباني وهو يرتدي بعض ملابس التمثيل ، وابراهيم بن محمود المهنا وهو احد الذين عملوا مع القباني كممثل ونجار يقيم المراسح ويهيء ملابس وعروش الملوك ، لكننا لسنا متيقنين من انه كان بين الذين عملوا معه في البداية – نرى كذلك صالح بن عثمان الملقب بالدرويش وكان ذا صوت جميل وماهرا في الضرب على النقرزان والرق ، ويبدو ان صلته بالقباني قديمة ، وعمله اضافة الى التمثيل والموسيقى والفناء هو تهيئة الملابس واعداد المؤثرات الصوتية، وتهيئة كتاب التمثيل للملقن . يبدو ابراهيم منهمكا في رسم احد مناظر الديكور) (١) .

القباني : لعلنا تأخرنا ، سنقوم بعدة تدريبات على الادوار والموشحات الجديدة . متى تنتهي من رسم المناظر يا ابراهيم ؟

ابراهيم : لو كنت اعمل في مهنتي بنفس الهمة التي اعمل بها في رواياتنا لاصبحت اعظم نجار في دمشق .

القباني : كم منظرا بقي ؟

---

(١) هذه المعلومات اوردها الاستاذ ادهم الجندي في كتابه « اعلام الادب والفن » . فصل : العبقرية الشامخة ... مواهب ابي خليل القباني الخالدة .

ابراهيـــم : الديوان الملكي فقط .

القبـــاني : الديوان الملكي ! انه اهم المناظر على الاطلاق . . تأن في تصويره جيدا .

ابراهيـــم : لا تخف . . سأنقل لك قصر يلدز بذاته ، ولكن لو عرف المشاهدون اننا نصور الدواوين الملكية بذيل حمار لاتهمونا بالفجور واهانة السلطان .

القبانـــي : الصنعة الجيدة هي التي تخفـــي اسرارهـــا يا ابراهيم . . انتبه على الاخص الى النقـــوش والتزيينات . هذه المرة اريد ان تكون المشاهد مقنعة تماما ، لكل مشهد جوه المناسب، وتأثيره على الحاضرين ، ينبغي ان تكون حفلة الغـــد افضل من كل حفلاتنا السابقة ، المناظـــر والملابس والتشخيص والغناء، لن نهمل شيئا على الاطلاق .

صالـــح : هل تأكد مجيء الوالي ؟

القبانـــي : سيأتينا محمود العمري بالخبر اليقين .

صالـــح : من يعلم قد تكون حفلة الغد هـــي البدايـــة ، مجيء الوالي امر له اهميته .

القبـــاني : لذلك سنعطي اقصى ما لدينا ، يجب ان ننفـــذ الى مشاعر الحضور ونستولي على اعجابهم ، وعلى قدر تأثرهم يكون اقتناعهم بأهمية هـــذا الفن وقيمته ، في البلاد الراقية الذهاب الى المراسح ضرورة لا غنى عنها . .

ابراهيم : ذلك في البلاد الراقية .. اما عندنا فياحسرة! اقصى ما نريده هو الا يتهمونا بالجنون . ابي يسمي عملنا صرعة لا تنفع لا في الدنيا ولا في الآخرة. الله وكيلك كل يوم حمام بارد. ان لم يكن في الصباح ففي المساء . سننتهي الى القطيعة كرمال المغاني والمراسح .

القباني : بعد حين سيبدلون جميعا رأيهم . كيف تريد ان يقدر الناس فننا لم يعرفوه من قبل ، ولم يلمسوا منافعه . ذلك مستحيل . اما اذا واصلنا العمل فسيتبدل الحال ويصبح للكوميضة مكان مرموق في هذه البلاد . البداية دائما صعبة . سنتحمل الكثير من الصعاب ولن ننجو احيانا من سخرية الجهال .. ولكن شيئا فشيئا ستراهم يهتمون بالتشخيص ويتعودون الفرجة عليه .

صالح : كل الحفلات التي اقنماها نالت اعجاب الحاضرين، يوم قدمنا«ناكر الجميل»تأثر بعض الاصدقاء كثيرا وابدوا غاية الدهشة .

القباني : مع ان تلك الرواية لم تكن الا محاولة فيهاالكثير من النواقص والعيوب .. كل شيء يتوقف علينا .. ولو ان الوالي (يصمت فجأة) لا .. لندع ذلك الآن ..

ابراهيم : بماذا تحلم يا ابا خليل ؟

القبـاني : سنتحدث عن ذلك فيما بعد ، علينـا اليـوم تدريبات كثيرة .. اعطني العود يا صالح .

(يتناول القباني العود .. ويبدأ الدق .. مع الموسيقى يدخل سليم بن حسن الحنفي(١) وهو شاب صغير امرد بهي الطلعة) .

صالـح : ها هو سليم الحنفي ..

سليـم : (يتناول اللحن الذي يعزفه ابو خليـل .. ويدندن بالغناء مرحا) :

ويحنا الدهر علينا قد سطا   انما الحكم لعلام الغيوب

القبـاني : كل الملابس جاهزة ؟

صـالح : قد يحتاج فستان الجارية الى تعديل بسيط .

القبـاني : (لسليم) اذن جرب فستانك أولا .. وتهيـأ للتدريب .

سليـم : الا ننتظر حتى يأتي الآخرون ؟

القبـاني : دورك يحتاج الى تدريب اضافي .. لا تزال في حركاتك خشونـة .

ابراهيـم : ربما كانت الجارية مسترجلة .

القبـاني : لو كانت مسترجلة لاعطيتك دور العاشق .

---

(١) هو ايضا من الذين عملوا مع القباني في دمشق ، وكان يمثل دور الاوانس (المصدر السابق) .

(يخرج صالح وسليم بينما يعود ابو خليل للعزف على العود) .

ابراهيم : آه .. تصور يا ابا خليل لو ان معنا صبايا حقيقيات لهن نهود وارداف ، ويمثل كل جنس جنسه ، لا تقل لي ان ذلك سيحدث في يوم من الايام .

القباني : (يغيم وجهه) تلك مشكلة حقا ، لكنه سيحدث يوما ما ...

ابراهيم : امراة تشخص امام جمع من الرجال وفي الشام .. لا .. هذا بعيد حتى على احفاد احفادنا .

القباني : سيتأخر .. ولكنه سيحدث .

ابراهيم : أتريد الصراحة .. اشعر احيانا ، وكأن ما تراه ليس الا ضربا من الخيال .

القباني : كل شيء يبدأ صورة في الخيال قبل ان يتحقق .

(يعود صالح وسليم بعد ان أرتدى فستانا قصيرا يكشف عن ساقيه)

صالح : الفستان قصير ويحتاج الى تطويل .

ابراهيم : (يصفر) خزيت العين .. بعد الحفلة سيضيق بيتكم بالخاطبات .

سليم : احذر ان تكون امك احداهن .

ابراهيــم : ولمَ يا نور العين ؟

سليــم : لانهــا ستخرج بلا سروال .

القبانــي : دعونا نعمل .. حاول يا صالح ان تزيد طوله شبرا على الاقل .. والآن سنبدأ بالمشهد الذي يطلب فيــه غانم بن ايوب وصال قوت القلوب .

ابراهيــم : يا عينــي ..

القبانــي : انتبه الى الحركة ، غانم يلاحقك وانت تبتعد عنه .. سيظهر الدلال والوجد في الحركة والكلام معا .. ابدا .

(يتراجع سليم مقلدا مشية النساء) .

القبــاني : تثن قليــلا ..

ابراهيــم : ستصبح من اشهر الغوانــي بفضل استاذنـا القبانــي

القبــاني : كفى يا ابراهيم .. دعنا نشتغل .. يالله امش وردد الحوار .. لقنه يا صالح ..

صــالح :

حبيبي كــن تقيــا واصبر على الاهوال

سليم : (وهو يتراجع متثنيا بدلال) :

حبيبي كــن تقيــا واصبر على الاهوال

القبانــي : دع جسمك الين وصوتك ارق ، يجب ان يقتنع الحضور بأنك تشخص دور جارية حقيقية ..

الاقناع اساس فن التشخيص .. عندما يظهر الملك مثــلا ..

(يقتحم محمود العمري (١) المكان وعلــى وجهه لهفة .. يبدأ الكلام على الفور) .

محمود : استعدوا يا شباب .. غدا سيكون عندنا ضيف هام .. الوالي صبحي باشا بلحمه ودمـــه سيشاهد روايتنــا ..

القبــاني : خبر أكيــد ؟

سليــم : الوالي نفســه .!

محمود : اعطى وعدا قاطعا ، سيأتي ايضا قائــد الدرك وعدد كبير من وجهاء الشام . يا سواد الوجه اذا لم تكن الحفلة من مقام الحضور .

القبــاني : اسرع يا صالح وبلــغ الشباب كلهم ان يأتوا، سنتدرب كل الليــل اذا اقتضى الامر ... وغدا يجب ان تكون الرواية على اكمل وجه.. يالـــه لن نضيع دقيقة واحدة .

(ينطفيء الضوء عليهم ، بينما ينهض المنادي من زاويتـــه) .

المنــادي : وفي اليوم التالي حضر والي الشام صبحي باشا

---

(١) كان امين سر القباني ورئيس التشريفات في مسرحه . المصدر السابــق .

رواية القباني .. كانت السهرة في احد البيوت الدمشقية ، جاء يواكبه عدد من موظفي الولاية واعيان دمشق ، وفي جو الانس والضيافة قدم ابو خليل القباني روايته ، فأثار اهتمام الوالي ونال اعجابه .

(اصداء آخر نشيد الختام ـ وانجلى صبح الاماني وبه ضاء الوجود .. يتلوه تصفيق حاد .. تسقط بقعة ضوء امام الستارة الداخلية ، يظهر القباني واضحا .. ووراءه عدد من افراد الفرقة . الوالي صبحي باشا يتقدم نحو القباني ويصافحه بحرارة . انه يضع قناع الولاة الذي سنصفه فيما بعد) .

الوالي : دعني اشد على يدك يا اباخليل ، ابدعت واحسنت ، احسنتم جميعا .. فهذا جهد ينم عن الموهبة وبراعة الصنعة ، وانه لمما يسر ان يكون في هذه المدينة شباب مثلكم يستطيعون ان ينهضوا بالفنون ويبرعوا فيها غاية البراعة .. ما رأيناه الليلة لا يقل شأنا عما تقدمه الاجواق الافرنجية رغم تمرسها الطويل بفن الكوميضة ، وهذا دليل على ان ابناء ، قادرون على ان يسيروا مع ركب التمدن ويتقدموه بسرعة ، انـي اطلب منك يا ابا خليل ان تؤلف جوقا دائما للتمثيل وتقدم رواياتك للناس ، فترقي بواسطتها

الافكار السقيمة وتمضي بها الى مكارم الاخلاق القويمة ، ومن جهتي اعدكم بالتشجيع ومساعدتكم حتى تواصلوا الجهد ، وتضعوا في البلاد اساسا ثابتا لهذا الفن .

(ينطفيء الضوء للحظات ، ثم يضاء على الزاوية اليسرى . امام الستارة نجد القباني وحوله ابراهيم وسليم وصالح ومحمود العمري وبعض الممثلين الاخرين .. الجميع في ملابس التمثيل .. يلوح عليهم الابتهاج والسرور **بعد الحفلة) .**

صالح : اشعر وكأنني في حلم !

سليم : واي حلم ! حضرة الوالي بلحمه ودمه يحيينا ويهنئنا !

صالح : (ينهض ويشرع في الرقص) يحق لنا بعد هذا ان نغني ونرقص لحسابنا .

محمود : هذه ليلتنا يا شباب، غنوا وارقصوا ...آه.. الآن استطيع ان اتنفس بارتياح ، حبست انفاسي طوال السهرة وعند الختام والله يا ابا خليل دمعت عيناي ،وشعرت اني اطير.

صالح : كلنا سنطير الليلة .. وغدا ستتناقل دمشق كل كلمة قيلت ولن يستطيع احد بعد اليوم ان يلومنا او يرمينا بالجنون .

سليم : معنى ذلك انه يخالف الوالي ومن يخالف الوالي يخالف السلطان ، ومن يخالف السلطان يشنق او يرفع على الخازوق .

ابراهيم : وحق شواربك التي لم تنبت صحيح ... صار لنا سند في الدولة .. آه .. رحمةالله عليك يا ابي أن زل لسانك .

صالح : فلنودع اباه بأغنية شجية ، ياللهيا اباخليل.. احمل عودك واسمعنا من بديع الحانك ... الليلة سنغني ونرقص لحسابنا .

ابراهيم : يبدو ان الفرحة عقدت لسان عمنا ابي خليل.

محمود : ادامك الله لنا يا ابا خليل ..رفعت رؤوسنا عاليا .

القباني : انها بداية طيبة على كل حال .

سليم : بداية !

محمود : من كان يحلم باكثر مما نلنا ؟

القباني : كأنكم لم تسمعوا ما قاله حضرة الوالي .

سليم : بل حفظناه كلمة كلمة وسنعيده على مسامع الكثيرين .

القباني : اذن سمعتم ما قاله عن ضرورةتكوين جوق دائم والخروج برواياتنا الى الناس ؟!

ابراهيم : ماذا تنوي يا ابا خليل ؟

القباني : اقول لكم ما انويه .. لا يجوز ان يبقى عملنا هواية وتسلية ، وان نظل مقتصرين على السمار من اهلنا واصحابنا ، الطبيعي هو ان نخرج من هذه الحلقة الضيقة ، وان نقدم رواياتنا في مرسح عام يتعود الناس المجيء اليه،بذلك فقط يكتسب عملنا قيمة واهمية.

سليم : مرسح عام ، وامام كل اهل دمشق !

ابراهيم : أهذا ممكن !؟

القباني : الفكرة تدور في ذهني منذ فترة ، ولكن تنفيذها اصبح اليوم ممكنا ، تشجيع الوالي فرصة ثمينة يجب الا نضيعها ، ومحاولاتنا لاقت حتى الان قدرا طيبا من الاستحسان فلماذا لا نمضي خطوة اخرى الى الامام ؟ لدينا كل ما تحتاجه الكوميضة ، الرواية والتشخيص والرقص والغناء .. وما دام الوالي سيساعدنا فان الصعوبات لن تكون كبيرة امامنا .

صالح : فعلا هذه فرصة ، لولا ان الوالي لمس قدرتنا على تقديم الكوميضة لما طلب منا الخروج الى الناس .

محمد : الديك مشروع معين يا ابا خليل ؟

القباني : ترددت مرارا على كازينو الطليان في باب الجابية ، ورايت انه مكان مناسب لاقامة مرسح نعمل فيه ، لهذا اعتزم استئجار

الكازينو ، ولدي روايـــة يمكن ان نبدأ العمل بها فـــورا .

محمود : كازينو الطليان ! فعلا ليس في دمشق مكـــان افضل منه .. وأنا اعرف صاحبه جيـــدا ، سيراعينا بالايجار دون شك ، هذه فكـــرة عظيمة ، ما قولكم يا شباب منذ الغد يبـــدا شغل الجـــد .

ابراهيـــم : ومن اين ندفع الايجار ؟

القبانـــي : سنجعل الدخول الى المرسح بنصف مجيدية وانا متأكد اننا لن نخسر .

سليـــم : والناس ! ماذا سيقولون عندمـــــا نحترف الكوميضة ؟

صالـــح : الوالي نفســه يبارك هذا العمل ، فهل نخشى ما يتقوله الناس ؟

القبانـــي : ثم ، الا يكفي بأننا مقتنعون بما نعمل ،ونعترف انه مفيـــد !

ابراهيـــم : بالفعـــل .

محمود : يالله يا شباب ، بدأ الجد ، سننطلق ،وندهش اهل الشام بفن الكوميضة .

القبانـــي : ولكن حتى ينجح المشروع يجب ان يتوفر لدى الجميع منتهى العزم والحماس .

محمود : العزيمة موفورة .

صالح : والحماسة ايضا .

ابراهيم : وكذلك الامكانيات .

القباني : اذهب يا محمود غدا الى صاحب الكازينو وفاوضه على الايجار ، اما نحن فسنبدأ التمرين .

سليم : وما الرواية ؟

القباني : الملك وضاح ومصباح وقوت الارواح .

صالح : اذن دعونا نحتفل قليلا (يبدأ الرقص) امسك عودك يا ابا خليل ، هذه ليلةليست كباقي الليالي

(يبدأ هرج وغناء ، وتصفيق ، يتلاشى الضوء تدريجيا .. بينما ينهض المنادي)

المنادي : هذه الانباء كان يتناقلها الناسبسرعة، تختلط بشؤونهم ، وتنمي الحركة التي اخذتتشملهم، وفي ذلك الوقت كانت تختمر في دمشق تحت قشرة السكون تيارات جديدة ، وكان البنيان الثابت القديم يهتز مع نبضات هذا الجديد الذي يولد .. بدأ الصراع ولن يتوقف، يظهر في التغيرات اليومية ، وتكشفه احاديث الناس في بيوتهم ومقاهيهم ،وصراع الولادة يبدأ عرضا بسيطا ، لكنه سرعان ما

يتحــول عنيفــا وشرسا .

(يسقط الضوء على بقعـــة فـــي منتصف المسرح ، نحــن في مقهى دمشقي وتكفي بعض المظاهر البسيطــة للدلالة عايــه .. طاولات وكراسي من القش .. ووراءها على الستارة النصفيـــة تبدو رسوم خيمة الكراكوز ، على احدى الطاولات يجلس عبدالرحيم كبه ، وانور معروف ، كلاهما شاب ، وهما يمثلان ذلـك الجيل الذي تفتح مع بداية النهضة ونماها ، انور يلبس بنطلونــا ويضع طربوشا ؛ امـــا عبد الرحيم فيرتدي شروالا ، ويلبس هـــو الآخر الطربوش)

عبدالرحيم : (يخلع طربوشه،ويضعه على الكرسي) أف.. اتصدق .. لا زلت احس الطربوش اثقل على رأسي من العمامة (يفرك جبينه) تقـول حزمت رأسي بخيط من القنب .

انــور : كل شيء حسب العادة .

عبدالرحيم : لكن العادات تتغير بسرعة عجيبة ،ننام على زي ونصحو على زي آخر ..

انــور : تلك علامة طيبة ؛ بلاد الدنيا تسبقنا ولا يمكن ان نظل وراءهــا .

عبدالرحيم : اخشى ان يضيعنا هذا الجري وراء كل ما هو اوربي .. في العادات والعلم وحتى الملابس.

انور : ولماذا يضيعنا ؟ لا بد ان نأخذ عن البلاد الاورباوية اسباب التمدن ، ونستفيد من علومها حتى نتخلص من التاخر ونمضي الى الامام ...

عبدالرحيم : ما يخيف هو ان تمحو كياننا، وبلادنا لا تستطيع مزاحمتها .. انظر كيف اصبحت البضائع الاجنبية تملأ الاسواق .. والناس يفضلونها على البضائع المحلية ... ما عادت هناك امرأة تلبس قماشا لا توجد عليه ماركة افرنجية . توقفت صنائع البلد واشتد الغلاءوصارحريرنا ارخص من القنب .. في الحقيقة هذا ما يخيف ...

انور : ومن المسؤول عن ذلك كله ؟انهدولتنا العلية ، فهي التي تترك البلاد في حال من السوء والانحطاط . لو انها باشرت الاصلاح فقضت على الفساد، واقتبست النظم الحديثة لعمت بلادنا نهضة من جميع النواحي ، عندئذ يمكن ان تتطور الصنائع وتتحسن احوال الناس المعيشية ، كياننا لن يشتد مع التأخر والجهل ، بل هو كالعدم أن لم ننهض ونلحق بالبلاد المتقدمة .

عبدالرحيم : لا ادري .. ما اخافه هو ان ننحرف كثيرا فنضيع اصولنا ولا نعرف طريقنا بعد .

(يصل ابو احمد الكراكوزاتي .. وينضم اليهما ويبدو عليه الغضب) .

ابو احمد : العمى .. كأن البلد ما عاد هو البلد ..

عبدالرحيم : خير انشاءالله .

ابو احمد : ما يقلقني يا عبدالرحيم افندي هو هذه الشعوذات التي تظهر في دمشق ، ليس لها اصل او فصل ، ومع ذلك تجد الناس كالعميان يترامون عليها .

عبدالرحيم : ايـة شعوذات ؟

ابو احمد : ما يفعله القباني وزبانيته ، العمى لا تجد اليوم على السنة الناس الا حديثه اينما ذهبت يرددون لك الاعاجيب عن حفلته وبراعته ، وهذا الفن الذي ابتدعه .

انور : امس حضر الوالي حفلته وكان شديد الرضى .

ابو احمد : اي نعم .. واليوم استأجر ابن القباني كازينو الطليان ، ليقدم عليه مساخره .. ولكن لا عتب عليه ، اذا كان حضرة الوالي بكل هيبته ومكانته يأتي فيبارك هذه الشعوذة ويحض عليها .

انور : ما يفعله ابن القباني ليس شعوذة ، فهو يتدرب ورفاقه على فن يتقدم كل الفنون .

ابو احمد : اانت تقول ذلك يا انور افندي ..! وما هو هذا

الفن الراقي ؟ كم صوتا يستطيع ابو خليـــل القباني ان ينطق ؟ وكم شخصا يستطيع ان يحرك ؟ وكم بابة او فصلا يستطيع ان يؤلف؟ الفن ليس لعبة اولاد .

انـور : كراكوز شيء والمرسح شيء آخر . ومن المهم ان يظهر في الشام جوق للتمثيـل ... وان يقام مرسح لتقديم الروايات .

عبدالرحيم : أتخشى ان يسرق ابن القباني الزبائن ؟

ابو احمد : انا اخشاه ! خيمة الكراكوز ليست بنت الامس .. انها اقدم من اجداد اجدادنا وقـد كانت دائما الفن الذي لا يضاهى .. لكن ما يقلقني هو ان يقام مكان علني تلمسخرة ولا اسمـع من يعتـرض .

انـور : لا تغلط يا ابو احمد .. هذه ليست مسخرة ولا شعوذة .. في البلاد المتمدنـة يعتبرون المرسح ارقى الفنون واعـلاها شأنا والناس يعاملون اجواقه بما يليق من الاحترام والتقدير .. لهـذا لا يجوز ان تظل الشام مقتصرة على خيمة الكراكوز ، ومحرومـة مـن المراسـح ومنافعهـا .

ابو احمد : ومالها خيمة كراكوز !

انـور : لا شيء سوى ان فصولها بليت من التكـرار والاسفاف . وعيوننـا عميت من كراكـــوز

وعيواظ . نريد فرحة جديدة ومفيدة ...

ابو احمد : طيب .. اذهب الى ماخور القباني .. وتعال حدثني عما رأيت ..

عبدالرحيم : (بينما ينهض ابو احمد مغضبا) لا نخف يا ابو احمد ، سنظل نأتي الى خيمتك ونتفرج على فصولك .

ابو احمد : يا سيدي اهلا وسهلا جئتم أم لم تجيئوا .. على كل لا بد ان يكون في هذه المدينة من تأخذه الحمية ولا يرضى بالسكوت عما يجري ..

(يبتعد عنهما) .

عبدالرحيم : زدتها عليه .. من الطبيعي ان يخاف على رزقه .

انور : قيام مرسح في البلد خطوة هامة ، اذا لم نشجعها وندافع عنها ، قد يخربها الجهال او يقتلونها في مهدها .

عبدالرحيم : قام مرسح ام لم يقم ، أهذا ما يشغل اهل الشام ؟ يهمهم رغيف الخبز قبل اي شيء آخر .

انور : (بينما تتلاشى الاضاءة) ستشغلنا مع رغيف الخبز ، وربما من اجله ، كل هذه الشؤون .

(اظلام على المقهى .. تسقط بقعة ضوء على يمين المسرح حيث تظهر حلقة الشيخ سعيد الغبرا ، هي حلقة دينية للاذكار

والمواعظ .. كانت تقام في الحقيقة شمالي
جامع الاموي ، عندمـــا يسقط الضوء تكون
الحلقه في غمار الذكر .. وبيـــن الكثيريـــن
المتحلقين حول الشيخ سعيد شيخ آخـــــر
وابو أحمد الكراكوزاتي .. بعد لحظـــات
يتـــوقف الذكر) .

ابو احمد : ايعجبك ما يجري في الشام يا شيخ سعيد ؟

الشيخ سعيد: وهل يعجب مسلما ان يرى الضلال ينتشر حوله
كالوباء .. الفساد يمتد ، والاقبال على حلقات
الذكر يخف .. ولا يعلم سواه الى اين نسير .

اصوات : ــ يا منجي .

ــ لا اله لا الله .

ــ اللهم ارحـــم .

ابو احمد : فما رايك ان يقام مكان علنـــــي للضلال ..
ايجوز ذلـــك ؟

الشيخ سعيد : اعوذ بالله ماذا هنـــاك ؟

ابو احمد : اما علمت ان ابن القباني اقام في كازينو الطليان
مرسحا يقدم فيه الشعوذة علنا على الناس ؟

رجـــل : يا لطيف .. امس كان الزحام شديدا على باب
الكازينـــو ..

الشيخ سعيد : وماذا يقدم ابن القباني للناس ؟

ابو احمد : كل الوان الخلاعة والشعوذة .. غلمان يتزيون بازياء النساء .

اصوات : اعوذ بالله .. أعوذ بالله .

ابو احمد : ورجال يتقمصون ادوارا ليست لهم ..

اصوات : اعوذ بالله .. اعوذ بالله ..

ابو احمد : وفوق ذلك الاغاني الماجنة والرقصات الفاجرة.

اصوات : اعوذ بالله .. اعوذ بالله ..

الشيخ سعيد : اهذا ما يتزاحم الناس من اجله !

ابو احمد : ويدفع كل واحد نصف مجيدية للتفرج عليه.

الشيخ سعيد : يترك ابن القباني حلقات الذكر .. حلقتي انا، لينصرف الى هذه الاعمال الشائنة ، اعوذبالله الى اي درك تقودنا الايام .. علمي ان تلك كانت تسلية جهال يقيمونها في بيوتهم ، اما أن يفقدوا الحياء ، ويطلعوا بهذه البدعة على الناس فذلك امر آخر ..

الشيخ الآخر : علائم الساعة يا شيخ سعيد .. كل يوم تظهر لنا بدعة جديدة لم نسمع بها .. ولا سمع بها اباؤنا .. والادهى ان الناس يتهالكون عليها كالعميان .

الشيخ سعيد : ماذا تريد .. عندما ينتزع من ايدي العلماء واهل التقى زمام القيادة .. ويسوس العامة

رجال ضعيف ايمانهم ودينهم .. فلا بد ان نصير الى هذا الحال .. يفتر الايمان في القلوب ويتفشى الانحلال ، تنهار الروابط والقواعد، وينقاد الناس الى الغواية والضلال، ولكن هل نتفرج على ذلك ولا نفعل شيئا ، المؤمن لا يسكت على المنكر ، وان سكت فسيسأل عن ذلك يوم القيامة ، يجب ان تلتقي القلوب المؤمنة وتتحد لمقاومة الضلال، ومحاربة هذه البدع التي تغوي الناس وتسلك بهم دروب الشيطان .

(تتلاشى بقعة الضوء عن حلقة الذكر ،ثم تنتقل الى يسار المسرح حيث نرى ابا خليل ومحمود العمري .. وفيما بعد ينضم اليهما الشيخ سعيد القبرا) .

محمود : الحمد لله تجاوز الاقبال كل حد .. اصبح الشامي يحجز من غلته اجرة المرسح قبل طعام عائلته ، لكن « الزكرتية » الله يضعفهم، يدخلون بلا اذن او دستور .

القباني : مضايقات صغيرة لا قيمة لها .

محمود : فيما بعد سنطلب من الوالي ان يضع لهم حدا.

القباني : ليس من المصلحة ان نخلق حولنا حزازات ومشاكل ، يهمني ان يكون الجميع مسرورين يحبون عملنا ، ويتعلقون به ، ترى ما هو

رأيهم الضمني فيمـا نقدمه لهم ؟.

محمود : الا يدل على رأيهم هذا الاقبال ! وما نسمعه من تصفيق وهرج وتعليقات سواء بين الفصـول او في الختام .! لا تشغل بالك مـن هـذه الناحيـة ، اصبحت حديث البلد كله .. كان استئجار الكازينو واحدة من افكارك العظيمة .

القبـاني : اذن قد يصبح المرسح بعـد فترة مـن الزمـن ضرورة من ضرورات الحياة الاجتماعية فـي الشام، وعندئذ يتحقق غرضنا ، ويثمر بالفعل عملنـا .

محمود : الا تفكر في روايـة جديدة ؟

القبـاني : بعونه تعالى لا توقف بعد اليوم (ينتبه لدخول الشيخ سعيد الغبرا) اهلا وسهلا يا شيخ .. خطوة مباركة ان يشرفنا الشيخ سعيد الغبرا..

الشيخ سعيد : (دون تحية) افتستبدل الذي هو ادنى بالذي هو خير يا اباخليل .

القبانـي : خير .. ما الخبر ؟

الشيخ سعيد : انت ادرى مني بالخبر .. تترك ذكر الله في حلقات الجوامع لتقيم حفلات ماجنـة تنافي الاخلاق والآداب وتعاليم الدين .

القبـاني : استغفر الله .. لا يا شيخ .. وربمـا اثرت فيك نميمة جاهل .. لكـن لو رأيته بنفسك مـا

نقدم في المرسح لما قلت ما تقول .

الشيخ سعيد : لعلك تريدني شاهدا للمباذل وشريكا فيها !

القباني : حاشا .. لسنا من اهل المباذل والمجون .. ما نقدمه يا شيخ روايات فيها حكم بالغة ترغب في اكتساب الفضيلة ، وتقدم للمتفرج مواعظ حميدة .. كل هذا في جو من الانس اللطيف والسرور البريء .

الشيخ سعيد : ومتى كان الفجور يرغب في اكتساب الفضيلة ! هل تجهل ان التشخيص كالتصوير ، كلاهما حرام في الدين ؟

القباني : على قد علمي ودرسي لا اعرف ان في الدين ما يحرم التشخيص ، ربما لم تعرف البلاد الاسلامية هذا الفن قبل اليوم ، لكن ذلك لا يبرر ان نبقى محرومين من فوائده .

الشيخ سعيد : لم يعرفه المسلمون ، لا لجهل ، وانما لانهم أنفوه واعتبروه مخالفة للدين .. ان هو الا بدعة ، وكل بدعة حرام .

محمود : ليت شيخنا لا يتعجل الحكم .

القباني : يا شيخ .. هناك امور كثيرة لم يكن يعرفها اسلافنا ، استحدثها تقدم الحياة ، فصارت منفعة للعباد .. فهل يجوز ان نعتبرها محرمات .. ونضيع ثمارها ؟

الشيخ سعيد : التقدم الصحيح هو ان نستعيد فضائـــل الاسلاف وقوة ايمانهم بدينهم .

القباني : والله تلك غاية تأتي بالنسبة لنا في المحل الاول، فما نريد الا استثارة الحمية في الصدور واستعادة فضل الاسلاف وصراطهم القويم ، وفي البلاد الاخرى يجعلون للمراسح اهمية كبرى ، فينفقون عليها الامـــوال الطائلة ، ويشيدون لها المباني الفاخرة لعلمهم بانها ترفع الهمم ، وتدفع الى ما ينفعهم كأفراد وامم .

الشيخ سعيد: بعد قليل ستجعل المرسح كرواق العلم في الجامع ، قد تكون هذه البدعة موجودة في البلاد الاورباوية ، ولكن اتريد ان نتشبه بالكفار .. من تشبه بقوم فهو منهم .. لم يبق الا ان نأخذ ديننا عن الافرنج .

القباني : استغفر الله .. لا يصح ان تتهمنا بالكفر .. المرسح ليس بدعة او كفراً ، بل هو وسيلة طيبة لتهذيب الاخلاق .. ومعرفة طرق السياسة .. في الظاهر يترجم الاحـــوال والسير وفي الباطن يقدم المواعظ والعبر ..

الشيخ سعيد : والصبيان الذين يتهتكون !والفناء الذي يوقظ الشهوات ! والرقص الخليع ! الى اين يقود هذا كله ؟ وفوقـــه تشخصون الاخر ، وتتقمصون الميت متطاولين على الخلق والخالق.

ان التشخيص ضرب من التصوير اساسه الضلال ، لانه وحده سبحانه وتعالى المصور القادر . أم تريد ان تشرك بالله ؟

القباني : لا اله الا الله .

محمود : اعوذبالله .. ما هذا الكلام يا شيخ سعيد .. نحن مسلمون وصدورنا باذن الله عامرة بالايمان ..

القباني : ولا نعرف في الدين ما يمنع التمثيل ..

الشيخ سعيد : اتماريني في معرفة الاصول والشرائع ، بالاجتهاد يقاس التشخيص على التصوير . وهو حرام حتى لو نحينا الاجتهاد .. يظل ما تفعله بدعة لا تجيزها الا فتوى شرعية ..

القباني : ولكن حسبما اعلم ، في عاصمة السلطنةاجواق كثيرة تقدم هذا الفن .. فهل كان السلطان يسمح بذلك لو ان فيه كفرا او مخالفة للدين الحنيف ؟..

الشيخ سعيد : (محرجا) لا ريب انهم غافلون ، وكفر البعض لا يجيز للبعض الاخر ان يكفر .. اكثرنا من الكلام حتى كدنا نبتعد عن جوهر الموضوع ، جئت يا ابا خليل اطلب أن توقف هذه الحفلات ، وتعود للغناء في حلقتي ، لئلا تضيع دينك ودنياك .

القباني : لن اتخلف عن حلقتك حين تطلبني ، لكن من المستحيل ان اترك العمل الذي بداته .

الشيخ سعيد : حتى ولو كان كفرا ،وضررا على العامة ؟.

القباني : ليس بالكفر ، ونتيجته نفع العامة لا ضررها ، لو لم يتوسم الوالي في المرسح الفائدة لما شجعنا ، وطلب منا تقديم رواياتنا للعموم .

محمود : اي والله .. حضرة الوالي صبحي باشا نفسه قال بعد ان هنأ ابا خليل وشدّ على يده اريدك ان تؤلف جوقا للتمثيل . فالمرسح كما يرى حضرة الوالي،وهو دون شك اقدر على معرفة ما ينفع وما يضر البلاد ، واسطة لنشر مكارم الاخلاق .

الشيخ سعيد : (مرتبكا) ومتى قال الوالي ذلك ؟

القباني : عندما حضر حفلة قدمناها في بيت جدي .. كان هناك كثير من الضيوف .

محمود : اعيان البلد وكبار موظفي الولاية .

القباني : وبامر حضرة الوالي وتشجيعه بدات العمل على مرسح الكازينو ، وسابذل كل ما لدي حتى اصل بهذا الفن الى الغاية المنشودة .

الشيخ سعيد : اذن فانت مستمر في هذا العمل !

القباني : اذا شاء المولى .

الشيخ سعيد: ليكن .. سنرى ..

(يخرج غاضبا)..

محمود : (بعد فترة) ما قولك ؟

القباني : ماذا يمكن ان يفعل ؟

محمود : له لسان اطول من ثعبان ، وحديث يدير راس الانسان ، ربما كان ضروريا ان نحجز من وارد الحفلات بعض المال .

القباني : ما دام الوالي يؤيدنا ، فلن نخشى معارضا حتى ولو كان الشيخ سعيد الغبرا .. وعندما يترسخ هذا الفن في دمشق ؛ يصبح الناس هم المدافعون عنه .

(ينطفيء الضوء على البقعة التي يقف فيها ابو خليل ومحمود .. ينهض المنادي. من الآن فصاعدا يغدو المسرح ثلاث بقع رئيسية .. حلقة الشيخ سعيد الغبرا وهي في غمار ذكر مستمر احيانا يعلو ، واحيانا يخفت ، واحيانا يكون ايمائيا .. والمقهى حيث يجلس انور وعبدالرحيم ومن ينضم اليهما فيما بعد ، ثم المكان الذي يقف فيه القباني الى يسار المسرح ،ايقاع هذا الفصل يزداد سرعة . وينبغي التأكيد عن طريق الحركة، على طبيعة العلاقات التي تربط بين هذه البقاع ، التي هي اتجاهات فكرية بالدرجة الاولى . ان

الحركة يجب ان توضح الصراعات الناشبة ، وان تؤكدها . نحن الآن في غمار ما يشبه اللعبة .. مع نهوض المنادي .. يظهر الممثل والممثلة ويأتيان الى مقدمة المسرح ، الممثلة تحمل قناع الولاة ، خدان منتفخان ، عينان صغيرتان ، فم كبير وشهواني ، ملامح غير متناسبة،يتناول المنادي من الكواليس طربوشا ومنشة ، ونرجيلة) .

المنادي : ولكن اي وال يعتمد القباني على تأييده ؟ أهو صبحي باشا ! وكم نقيت ولاية صبحي باشا؟.

الممثل : في ذلك العصر القلق ، لم يكن يسخن الكرسي تحت اليتي الوالي .

الممثلة : فرمان بالعزل .. وفرمان بالتعيين . واهل الشام لا يكادون يحفظون اسم الوالي الجديد حتى يصدر فرمان بنسيانه ، والتدرب على اسم جديد .

الممثل : ولا نعرف الكثير عن هؤلاء الولاة .. يصفون واحدا بأنه سمين .. والآخر بانه قصير والثالث بأن له آنفا كالبرتقالة ، وتفاصيل صغيرة من هذا القبيل .

الممثلة : لكن ما يتفق عليه الجميع هو ان احوال الشام كانت تنحدر من سوء الى سوء ..

المثـل : وان الوالي قد يقرأ فرمان العزل قبل ان يصله فرمـان التعيين .

الممثلة : بين عامي ١٨٧١ ـ ١٨٧٩ تعاقب على الشام احد عشر واليا ..

المنادي : فعلى اي وال كان يعتمد القباني ؟

(الآن يوضع كرسي في مقدمـة المسرح اقرب الى اليمين مواجها للجمهور .. الممثل ينسحب الى الظل استعدادا للمشهد القادم).

الممثلة : والآن .. انتبهوا يا سادة يا كرام .. حتى نفهم الظروف التي نشأ فيها مسرحنا .. نقدم لكم فصـلا من التاريخ .. تطور الاوضاع مـع تعاقب الولاة .. احد عشر واليا خلال ثماني سنوات .. لعبة مسلية ، لكنها مدوخـة وداميـة سنلعبها الآن امامكم .. فانتبهوا .. (بلهجة اعلانية) فصل الولاة ..

المنادي : انتبهوا يا سادة يا كـرام .. فحكايـة الولاة تهمكم في كل عصر واوان .

الممثلة : عام ١٨٧١ ، وجهت ولاية الشام الى عبداللطيف صبحي باشا .. وقبل ان يتم العام عـزل صبحي باشا ..

المنادي : فعلى اي وال كان يعتمد القباني ..

(البقاع الثلاث تنظر بعيون متعبة ولا مبالية

تقريبا نحو عمق المسرح كأنها تودع واليا راحلا. انور يبصق .. ويتوقف الذكر الخافت لمدة ثوان ثم يعود كما كان) .

الممثلة : وفي عام ١٨٧٢ وجهت ولاية الشام الى محمد حالت باشا .

(يدخل الممثل .. تتجه اليه الابصار من بقاع المسرح الثلاث .. تناوله الممثلة القناع فيضعه على وجهه ويضع له المنادي الطربوش، ثم يناوله المنشة واحيانا الختم .. هذه الحركات ايضا ستتكرر مع مجيء كل وال . يجلس حالت باشا على الكرسي يلف يده اليسرى على ردفي الممثلة ؛ واحيانا يقبل يدها .. وباليد الاخرى يضع بين حين وحين اختاما على اوراق يحملها المنادي دون ان يقراها .. او يحمل المنشة ويلوح بها امام وجهه .. مرة اخرى احب التنبيه الى ان تنقل الاضاءة يجب ان يتم بسرعة وان انتقالها مع حركة الممثلين هو الذي سيوضح طبيعة العلاقات بين القوى التي تمثلها هذه البقاع . . ضوء على القباني ومحمود العمري) .

محمود : (قلقا) هل يسير الوالي الجديد على نهج سلفه؟

القباني : لن نقطع الرجاء .. بعد التهاني والتبريك ، سنلتمس منه العون والتأييد .

محمود : لنسرع اذن قبل ان يسبقنا اليه النمامون والجهلة ..

(في المقهى) .

عبدالرحيم : لعل الوالي الجديد يحمل لنا بعض الخير ، بلغت الاحوال منتهى السوء .. فالغلاء شديد والكساد يزيد ..

انور : ياما تغير ولاة .. وياما رجونا .. ليس المهم تغيير الوالي .. وانما تغيير القوانين .

عبدالرحيم : عندما يكون الوالي ابن حلال فقد ينفع البلاد ويخفف عسرها .

انور : لن يتغير شيء الا باصلاح شامل يبدل القوانين ، ويضمن للرعايا الرزق والامان .
(تنتقل بقعة الضوء الى حلقة سعيد الغبرا.. الذكر مستمر ، يتوقف عندما ينبري الشيخ سعيد للكلام) .

الشيخ سعيد : اللهم انصر والينا الجديد ..

الجميع : آمين .

الشيخ سعيد : وايده .

الجميع : آمين .

الشيخ سعيد : واشدد ازره حتى يخلص الشام من الضلال، ويمنع ترديها الى هاوية الانحلال ..

الجميـــع : آمين .

الشيخ سعيد : وقد اشتدت الحاجة الى الحزم ،واخذ العامة بالجد والعزم .. فالعادات الغريبة فـــي انتشار ، والبدع المنكرة تهب علينا من بـلاد الكفار ، والناس كمن ضرب الله على قلوبهم،ما ان يحمل لهم واحد قليل الدين صرعة او بدعة حتى يقبلوهـا ويقبلوا عليها .. كمـا يجري الآن مع ما يسمونــه في الشام التشخيص والاجواق ، اقتبسه ابن القباني عـن الافرنج ناسيـا دينه ، فأغوى به الجهال ، وتهالك عليه الرجال ، والتشخيص بدعة حرام لم يعرفهـا الاسلام ولا اجازها .. ففيها المجون ،واساسها الفسق والفجور،ولا غرابة أن يبتدعها الاجانب، ويقبلوا عليها ، لانهم قوم بـلا اخلاق ، ولـم تستنر بصائرهم بالاسلام ، تختلط نساؤهـم برجالهم ، ويعيشون كالبهائم ، مقبلين علـى الدنيـا وملذاتها جاهلين الآخرة وحسابها .

(يتلاشى الضوء تدريجيا .. يظل الشيخ سعيد يتكلم ايمائيـا للحظات .. يسود هدوء .. يعـود بعدهـا المذكر خافتا ... يستمر المشهد ساكتا لفترة .. الوالي يضم الممثلـة بقوة ويضع رأسه في خصرها .. ثم يبعدها برفق .. وكمن ينتفض ، يلتفت الى المنـادي الذي يمثل الآن تابع الباشا)

الوالـــي : لنصرف بعض شؤون الولاية .. ماذا لدينـــا اليـــوم ؟

المنـــادي : اهل الشام في هم وغم ، انقطعت عنهم الرحمة فانحبست الامطار ، وامحلت المواسم ، والغلاء شديد .. بعض النــــاس يقتاتون الاعشاب ، وفي مناطق اخرى يأكلون القطط والفئران .

الوالـــي : وماذا يريدون ان افعل لهم ؟ هل آمر السماء بالمطـــر ؟

المنـــادي : العفو يا حضرة الباشا .. ولكن الضرائب ...

الوالـــي : لا اسمح بالحديث عن الضرائب .. دولتنـــــا عليها التزامات سامية لحماية الرعاياومواجهة الدول الطامعة ، ويجب الا ينسى اهل الشام اني دفعت مبلغا كبيرا كي احصل علىولايتهم .

المنـــادي :والاسعار ؟ .. صار مد القمح بـ /١٢٥/ قرشا وهذا لم تعرفه الشام من قبل .

الوالـــي : في الدين ، البيع والشراء حلال .

المنـــادي : ماذا اقول اذن للذين يتظلمون ، ويسترحمون واليهـــم ..

الوالـــي : قل لهم .. ان الامطار بيد الله ، وما عليهم الا ان يقيموا صلوات الاستسقاء ويطلبوا منالمولى الخير والبركـــة .

المنـــادي : حاضر ...

الوالـي : ماذا هناك ايضـا ؟

المنـادي : زادت مشاكل الزكرتية ، وتعدياتهم علـى النـاس ، وعلى بعضهم البعض .

الوالـي : هل يتعدون على الدولة وما يخصها ؟

المنـادي : لا اعتقـد انهم يجرؤون ..

الوالـي : اذن ، لماذا نجلب لانفسنا وجع الراس،وندخل في مشاكل عقيمة ؟ يجب ان نحفظ قـوة الجندرمة لما هو اجدى واهم .

(تجلس الممثلة في حضن الوالي .. رجل يعبر المسرح نحو حلقة الفبرا وهو يتمتم (لا اله الا الله) صوت الذكر يعلو قليلا .. ضوء على القباني ومحمود العمري) .

محمود : الوالي لم يبخل علينا بالثناء ، ولكن المتقولين يكثرون .. والشيخ سعيد الفبرا لا يمل الهجوم علينا .. كان افضل لـو اشترينـا سكوتـه .

القبـاني : وهل نقترف الكبائر حتى نشتري سكوته !

محمود : لعله كان ضروريا ولو لفتـرة قصيرة .. الا تلاحظ .. بدأ العمل يسوء من يوم الى يوم .

القبانـي : البلاد في عسر يا محمود ، ومن الطبيعـي ان يشملنا عسرها ، لا اخشى ما يقوله الشيـخ

سعيد او سواه ، فالعمل المفيد لا تطمســه غيمة ، ولا تخفيه جهالة ، ولكن الناس يعيشون هذه الايام في محنة .

محمود : واية محنة ! الجوامع تفص بالمصلين والضارعين .

القبـاني : لهذا يجب ان نكون بينهم ، نشاركهم الضراعة وادعيــة الاستسقاء .

(يتجه القباني ومحمود نحو حلقة الفبرا .. بعــد برهة يتبعهمــا عبدالرحيم .. تتسـع الحلقــة كثيرا ويسطع الضوء عليها .. تعلو اناشيد الاستسقاء ، بينمــا يبقى انور وحيدا في المقهى يتأمل المشهد ويهز رأسه .. بعــد فترة .. تقفز الممثلة من حضن الوالــي .. وعلى كلامها يخفت الضوء على حلـقة الفبرا بشكل تدريجي ويستمر نشيــد الاستسقاء خلفيــة واضحة) .

الممثلـة : وفي سنة ١٨٧٠ عزل الوالي محمــد حالت باشــا ..

(ينهض الممثل ، يخلع قناعه ويضعه على الكرسي في مواجهة الجمهور ، بينما يعلــق الطربوش على المسند العلوي .. يتجه منسحبا الى عمق المسرح . انور يقف مكررا حركتــه السابقــة) .

الممثلـة : ووجهت ولاية الشام الى اسعد باشا ..

المنـادي : (يترك اللعبة) لحظة .. قبل ان نتابع لعبـة الولاة الطويلة ، ما رايك لو نتـرك السادة الاكارم يرتاحون قليلا حتى يستطيعوا متابعـة السـهرة بانتباه وارتياح .

المثلـة : على الا تطول الاستراحة ..

المنـادي : ما يكفي لتدخين سيجارة ..

المثلـة : ليكـن ..

(الممثلة والمنادي وانور ينسحبون ..تعلو اناشيد الاستسقاء .. وتستمر جزءا كبيرا من الاستراحة في حين يظل الكرسي وعليه القناع والطربوش مواجها للصالة) .

الجزء الثاني

(تعود البقاع الثلاث الى التشكل على المسرح تدريجيا .. يدخل الذين يؤلفون حلقة الشيخ سعيد الغبرا ، اذا كانوا قد تركوا المسرح قليلا .. يأخذون مكانهم ويبدأون ذكرا خافتا ، بعدئذ يدخل انور وعبدالرحيم فيجلسان في المقهى .. المنادي من جهة والممثلة من الجهة الاخرى يقفان في المقدمة على جانبي كرسي الولاة) .

المنادي : يا الله يا اسياد .. الرجاء السرعة ، خذوا اماكنكم لنتابع السهرة ..

(فترة .. يعيد فيها المنادي كلماته مرة او مرتين حسب تلكؤ المتفرجين) .

المنادي : ونعود الآن الى فصل التاريخ ، الى لعبة الشام والولاة ..

المثلـة : تذكروا .. عام ١٨٧٥ عزل محمد حالت باشا ووجهت ولاية الشام الى اسعد باشا .

(يدخل الممثل .. يكرر نفس الحركـات السابقة ، يسترخي على الكرسي .. ويبـدأ بتدخين نرجيلته في هدوء ... قرقرة المـاء واضحة .. منذالآن يمكن الاستغناء عن خروج الممثل ودخوله ، والاكتفاء بتغيير فيوضعيته اشارة الى انه اصبح الوالي الجديد) .

المنـادي : جاء يتبعه الهواء الاصفر .

(ضوء على المقهى .. عبدالرحيـم وانـور منزعجان ويهمان بالخروج).

عبدالرحيم :تقول مكتوب علينا الا نعيش يوما ابيض ..

انـور : حين حل الهواء الاصفر في الشام منذسنوات حصد اكثر من عشرة آلاف نسمة ..

عبدالرحيم : هذه المرة الوباء اشد ، ولن ينجو الا طويـل العمر ..

(يخرجان . ضوء على حلقـة الفبرا .. مع بقاء الدمدمة الدينية الخافتـة ينهض الشيخ سعيد وسط الحلقة خطيبا) .

الشيخ سعيد : أفتعلمون من اين يأتي الهـواء الاصفر ؟ انـه يهب من داخلكم .. من القلوب التي تعفنت والارواح التي اعتلت ، فقد راجت بينكـم

تجارة الرذيلة وبارت سوق الفضيلة ، وانفتحت البلادلكل الفوايات، تركتم علم الدين وهو انفع ، وتهالكتم على العلوم الشيطانية والمعارف الهجينة واللغات الاعجمية ، ترسلون اولادكم الى مدارسها فتنشأ في عقولهم بذور الانحلال ، وتضيع من صدورهم بقية الايمان .. ان الله سبحانه وتعالى يرسل لعباده النذر لعلهم يهتدون ، وفي السنين الاخيرة تعاقبت علينا الكوارث والاهوال ، جاءنا الجراد ثم الجفاف ثم الطاعون .. وما تلك الا نذر وعلامات للذين يفقهون ، ولكن بدلا من ان يعتبر الناس ، فيخافوا ربهم ، رأينا الكفر يشتد وتعلق العباد باسباب الانحطاط يزيد .. كثر الاقبال على البدع ، وشمل ضرر المدارس الزمنية الذكور والاناث ، وانتشرت الكتب المصورة التي تروج القيم الغريبة والمفاهيم الهدامة وهكذا انحرفت الافكار .. وعميت الابصار .. وفاحت الخطيئة ، وهاجت الرذيلة .. وحقت اللعنة على هذا البلد .

(يتجمد الشيخ سعيد على وضعيته ، وكأنه مستمر في الكلام) .

المنادي : واستقام الهواء الاصفر في دمشق شهرين من الزمان . . وهلك من اهلها تسعة آلاف ومئتان .

الممثلة : ونحن لا نزال في عام ١٨٧٥ في نفس السنة التي جاء فيها الوالي اسعد باشا صدر فرمان بعزله .

(حركات تسليم القناع والطربوش والمنشة . . يختفي الممثل) .

الممثلة : ووجهت ولاية الشام الى احمد حمدي باشا .

المنادي : بعد الهواء الاصفر هطلت سيول مفعمة فطاف نهر بردى واقتلع الجسور وعلت المياه فوق سطح المرجة ذراعا ونصفا ، ودخلت دائرة الحكومة وسوق الخيل . .

(يعود الممثل . يتناول القناع والطربوش ، يجلس رافعا قدميه وكأنه يخاف البلل) .

الوالي : ما هذه الولاية ! اصبحت لا تساوي مجيدية .

المنادي : الجسور مهدومة . . والبيوت مهددة بالانهيار . . والاهالي بعد الطاعون والغلاء في ضيق وشدة .

الوالي : ناد على السخرة لنزح المياه واصلاح الجسور .

(تدب الحياة في حلقة سعيد الغبرا . . . الدمدمة الدينية الخافتة . . الشيخ سعيد يتكلم وكأنه يواصل خطابه السابق) .

الشيخ سعيد : وبعد الطاعون يأتي الطوفان . . ولا اعجب ان

تكـون هذه هي النهاية ، فبالرغم من هـــذه الكوارث المتعاقبة ، لم تدب الخشية فـــي القلوب ، بل زادت المعاصي ، حتى بطل الحياء وهان العار ، النساء يخرجن الـــى الاسواق شبه سافرات ، يتسربلن بملابس اجنبية لا حشمة فيهـا ولا حياء ، فيوقظن الشهـوات الدنيئة ويُوججن نيران الخطيئة ،والادهى ان نسمع جهارا عن مساواة المراة بالرجل . ثـم تجاوز البعض كل حد ، فصاروا لا يهابون ان يطالبوا علانية بقيام دولة لا دين لها ولا اخلاق فيهـا .. الا فليشتد عقابه ، ما الجـــوع والطاعـون والطوفـــان الا بعض مـا جنت ايدينا .. وسبحان من يمهل ولا يهمل .

الممثلـة : وفي بداية عـام ١٨٧٦ عزل الوالـي احمـد حمدي باشـا .

(ينسحب الممثل .. عبدالرحيم في المقهى .. ابو خليل ومحمود في الزاوية اليسرى ، دمدمة الانشاد الديني مستمرة بخفوت) .

الممثلـة : ووجهت ولاية الشام الى راشد ناشد باشا .

المنـادي : فعلى اي وال كان يعتمد القباني ؟

(يعود الممثل ، طقـوس تسليم القنـــاع والطربوش ، يستقر على الكرسي ، ثم لا يلبث ان ينام ، شخير خافت ، يعلو الضـوء علـى بقعـة القبانـي) .

القبـاني : سنعود فنقدم رواية في بيت جدي .

محمود : وما فائدة ذلك ؟

القبـاني : حتى لا ننقطع عن العمل وتفتر همة الشباب نهائيـا ..

محمود : انرجع الى البدايـة !

القبـاني : تجاوزنا البداية منذ تجربة الكازينو ..

محمود : يا عيني .. ايمكن ان تعود تلك الايام ؟

القبـاني : سنظل نعمل حتى تحين فرصة مواتية ..

محمود : ومن اين الفرصة في وقت لا احد يفكر فيه الا بالنجاة من الطاعون او الجوع .. على كل اذا نويت العمل فنحن معك .

(يقترب المنادي من الوالي .. يوقظـه بفظاظة ويعطيه ورقة مربوطـة يفتحها .. يقراهـا ينهض كالملسوع عن كرسيه ، يخبط الارض بقدمه ويتجمد المشهد للحظات ... ضوء على المقهى حيث ياتي آنور ، فينضم الى عبدالرحيـم) .

انـور : الانباء تتدافع الينا كالامـواج ، والاضطراب على اشده في الاستانة .

عبدالرحيم : اهي اخبار اكيدة ام شائعات !

انـور : اكيد ان السلطان عبدالعزيز خلع وقتل ، واكيد ان مراد الخامس اصبح سلطانا بعده ؛ واكيد انه الآن شبه مخلوع ، الا ان الاكيد فوق هذا كله هو ان الدولة العلية لا يمكن ان تستمر في هذا الحال من الخلل والضعف ، وان انفجار الاوضاع فيها صار حتميا .

عبدالرحيم : الحياة تنقلب وتضطرب ، ونحن كالغرقى في بحر هائج .

انـور : نغرق لاننا لا نتعلم السباحة ، حان الوقت كي نرى مصالحنا ، ونعرف كيف ننقذ البلاد العربية من فساد الدولة العثمانية والاخطار الاخرى التي تهددها .

(يسلم الوالي قناعه ، ويخرج . الدمدمة الدينية خفوت مستمر ، والضوء لا يزال على المقهى) .

الممثلـة : وعزل راشد ناشد باشا قبل ان يتم الشهور . .

المنـادي كذلك خلع السلطان مراد الخامس . . واصبح عبدالحميد السلطان الجديد . .

(انور وعبدالرحيم وكأنهما يواصلان حديثهما السابق) .

انـور : العقول تتنور تدريجيا ، وما هو قائم لم يعد مقبولا . . الدولة العلية تنحط ، وتخلفها عن

الامم الاخرى يزيد .. فكيف نرضى بالبقاءعلى ما نحـــن فيه ! أتعرف ماذا يسمـــي الاجانب دولتنا ؟ يسـمونها الرجل المريض،وهم محقون في هـــذا الوصف .

عبدالرحيم : وما النتيجة اذا كنا لا نملك من امرنا شيئا ..

انــور : اساس الانحطاط هو انهم لا يسمحـــون لنـــا بتقرير مصيرنـــا ... يفصلـــون لنـــا مـــا يريدون من الثياب ، فنلبسـها ، ولكن بعـد ان بدأ الناس يبصرون لم يعد ذلك مقبولا ، لنـــا حقوق يجب ان نطالب بها . الام ستظل الولايات العربية اقطاعات يعيش اهلها فـــي الذل والفقر ، بينمـــا تمتص الاستانة خير ما فيها . ألم يحن الوقت للمطالبة بحقوقنا كعرب فنسعى الى استقـــــلالنـــا وادارة شؤوننـــا كما فعلت ولايات كثيرة ..

عبدالرحيم : هل تنسى اننا بلاد اسلامية ، وان السلطـــان حامي الحرمين الشريفين ورافع لواء الدين ؟

انــور : بهذه الحجة يفرضون علينا ان نظل رعايـــا مستكينة كالمواشي ، وبهذه الحجـــة ايضـــا يهاجم المتزمتون كل بادرة للتقدم او التنور ، يرمونهـــا بالكفر ويرجمونهـــا بالزندقة حتـــى نظل كالديدان نتمرغ في وحل التأخر ، اننـــا عرب يا عبدالرحيم ولسنا اتراكا ..

(يخفت الضوء على المقهى ..)

الممثلة : بعد عزل راشد ناشد باشا ، اي في عام ١٨٧٦ وجهت ولاية الشام الى ضيا باشا .

المنادي : وفي الاستانة ، اعلن السلطان الجديد عبد الحميد تحت ضغط ابي الدستور مدحت باشا القانون الاساسي ..

(يدب هرج في بقاع المسرح الثلاث ..من الآن فصاعداً يبدأ عدد من الرجال وخاصة الشباب منهم يتركون حلقة سعيد الفبرا ويتجهون نحو المقهى .. وبذلك تتناقص حلقة الفبرا تدريجيا لتتسع حلقة انور وعبد الرحيم .. الاهتمام يبدو على وجوه الجميع تقريبا .. والذكر يخفت الى حد التلاشي.. رجلان يعبران المسرح من الحلقة نحو المقهى.. وخلال حوارهما يتم دخول الوالي الجديد على نفس الصورة السابقة مع اختلاف انه هذه المرة يقف امام الكرسي ويبدو كانه يقرا للمتفرجين بنود القانون الجديد) .

رجل ١ : يا رجل سمعتها من افندي يقرأ ويكتب ، القانون الجديد يحرم السخرة ، ويمنع المصادرة ، كما يمنع الدرك والباشوات من البطش بالعباد .

رجل ٢ : والله اذا صح ذلك ففيه انتفاع للجميع .

(يصلان الى المقهى ، يجلسان على طاولة مجاورة لطاولة انور وعبدالرحيم) .

عبدالرحيم : الدستور الجديد حركة اصلاحية لا نستطيع ان نطمح بأفضل منها ، ولعل الله يجعلها بداية الانفراج .

انور : رغم ان هناك بعض النواقص ، فان الدستور بشكل عام يتماشى مع العصر،ويتضمن بعض الاسس الاصلاحية،ترخيص التعليم والحرية والمساواة ، والغاء السخرة، وتمثيل الولايات في مجلس المبعوثان ، لكن المهم بعد ذلك هو التطبيق .

عبدالرحيم : لا تستقبل نية الخير بفأل السوء .

انور : الا تذكر كم ضاعت من قبل انظمة جيدة في اجهزة الحكومة الفاسدة ؟

(ينتقل الضوء الى بقعة الشيخ سعيد الفبرا ، يبدو متجهم التوجه .. ويتوقف الذكر بعد الآن نهائيا ..)

رجل : ما رايك يا شيخ بهذا الدستور الذي يعلنونه الآن في كل اطراف البلاد ؟

الشيخ سعيد : اللهم انصر سلطاننا الجديد ، وسدد خطاه . وابعد عنه نفوذ المارقين وذوي الدعاوي الغريبة .

الجميــع	: آميــن
	(تنتقل حزمة الضوء الى القبانــي ومحمود العمري) .
القبــاني	: الظروف الجديدة تناسب ان نحاول من جديد . . سيفيدنا الانفراج وضمان الحريات كي نعاود التجربــة .
محمود	: الا تيأس يا ابا خليل ؟
القبانــي	: من يؤمن بفكرة لا يستطيع ان ييأس .
محمود	: تكفينا الحفلات التي نقيمهــــا في البيوت ، ويكفينا ان الجميع يختصمون لسماع الحانك في سهرة او سيران . .
القبــاني	: تظل فكرتي ان اقيم مرسحا في الشام ، وكما اصبحت لدينا مدارس تنور العقول ، وظهرت كزيطات (١) وتتجه غالبية المجتمع نحــــو النهوض فان من اللازم وجود مرســح فــي هذا البلــد .
محمود	: ماذا لديك ؟ اقطع يدي ان لم يكــن مشروعا جديدا .
القبــاني	: انوي بيع القبان ، والارض التي املكها ،واقيم بثمنهــا دارا للكوميضــة .

---

(١) الكزيطة هي الجريدة كما كانت تسمى يومئذ .

محمود : هذا جنون ، اتخرب بيتك بيدك !

القبـاني : سمته ما شئت ، لكن اذا استقر الوضع حقا ، وانست من الوالي الجديد قبولا فسأنفذفكرتي ولو كان فيها الخراب والجوع .

(يتلاشى الضوء على بقعة القباني) .

المنـادي : فعلى اي استقرار وعلى اي وال كان يعتمـد القبانـي ؟

الممثلـة : عام ١٨٧٧ عزل ضيا باشا ، ووجهت ولايـة الشام الى عزته باشا .

(ينسحب الممثل . الاهتمام على وجـوه الجميع .. يأتي رجلان من حلقة الغبرا الى المقهى ومع عبورهمـا وحوارهمـا يعـود الممثل فيدخل ويتناول عدة الوالي ..)

رجـل ٣ : اعلن السلطان الحرب على دولة الموسكوب .

رجـل ٤ : اللهم عونك ، سيسحبون الرديف الاول خلال ايـام .

(ينضمان الى المقهى).

الوالـي : (بعد ان وضع قناعه ، وخاصر الممثلة) الدولة بحاجة الى المال والرجال ، فأرسل الجندرمة الـى البلـد .

(يظهر دركيان ، يسوقان الرجل الرابـع

وعددا آخر من الشباب عابرين المقهى والعيون ترافقهم ، ضوء سريع على حلقة الغبرا التي ضاقت) .

الشيخ سعيد : اللهم أنصر السلطان ، وقوّ جيشه ، وشتت شمل اعدائه ...

اصوات : آمين .

المنادي : وفي نفس العام ١٨٨٧ عزل عزت باشا ..

الممثلة : ووجهت ولاية الشام الى عمرفوزي باشا .

(ضوء على حلقة المقهى .. واثناء الحوار الدائر يتسلم الممثل منصب الوالي الجديد)

انور : (الى عبدالرحيم) تفضل يا سيدي .. عطل السلطان الدستور قبل مرور سنة على اعلانه، وابعد كل الاحرار ، وها نحن نخوض حربا لا علاقة لنا فيها .

رجل ١ : اصبح السلطان خليفة للمسلمين .

رجل ٢ : اعلن الجهاد المقدّس .

رجل ١ : قد يسحبون الرديف الثاني .

انور : اي انهم لن يتركوا في البلاد الا الاطفال والشيوخ ..

عبدالرحيم : لو انهزمت الدولة العثمانية ، فالله وحده يعرف ما سيحدث لنا .

انـور : والام سيظل مصيرنا مرتبطا بأهواء السلطان الذي يعيش بين حريمه ؟

رجـل ٣ : يا واش يا واش سمعت انه صار في البلـد خفية ورجال تحري .

رجـل ٢ : المفروض ان الدولة مشغولة بالحرب .

الوالـي : (يهب عن كرسيه .. بصوت مجلجل) اسحبوا الرديف الثانـي .

انـور : (بعد فترة صمت) خلاصنا الوحيد يا اخوان هو ان نفكر في مصيرنا، بمعزل عن الاستانة. لا حل الا باستقلال الولايات العربية .

رجـل ٣ : ان لم يكن الاستقلال فالحكم الذاتي على الاقل .

انـور : المهم ان تدير شؤونهـا بنفسها ، وتعمل علـى اصلاح ما اصابها من انحلال خلال هـذه القرون الطويلة .. الدولة العثمانية ستجرنا معها الى الخراب ، والبلاد الاوروبية تطمع في اقتسامنا ، فاذا لم نتحرك قبل فوات الاوان ضاع العرب الى الابد ..

(يدخل دركيان معهمـا أحـد الشباب ، ويسوقان الرجل الاول ايضا الى العسكريـة وسط انزعاج الجميع ... ينطفيء الضوء).

المنـادي : وفي عام ١٨٧٨ عزل عمر فوزي باشا .

المثلـة : ووجهت ولاية الشام الى احمد جودت باشا ..

(اثناء انسحاب الممثل ثم عودتـه ، يضاء المقهى مرة اخرى ويدور الحديث بيـن انور وعبدالرحيم وبعض الرجال) .

انـور : من الطبيعي ان تنهزم الدولة ما دامت غارقة في الفساد الى هذا الحد .

عبدالرحيم : أتتصور الشروط المهينة التي قبـل بهـا السلطان لمصلحـة قيصر الروسيا !

رجـل ٢ : يا خسارة .. هؤلاء المئات من الشباب الذين ماتوا هـدرا .

انـور : قلت لكم .. لا فائدة بعد اليوم .. طريقنا هو المطالبة بالاستقلال ، وقيام دولة للعرب تتولى شؤونهـا بنفسها .

رجـل ٢ : يقولون أن السلطان سيشد قبضته على البلاد، وسيبدأ ادارة حازمة .

انـور : هذا طبيعي ، فهو بعد الهزيمة ، يحس بالتذمر العام ، وبأن كل ما بقي من الامبراطورية هو الولايـات العربية فقط .. لهذا عطـل القوانين وبدأ الاستبداد الفردي ، وسنكـون الضحايا ، في الوقت الذي تتطور فيه الامم، وتزيد لمواطنيهـا الفوائد والحقوق .

عبدالرحيم : في البلد لغط كثير .. والدعاوي الى التغيير

تزيد .. والكل يحس بالقلق وبأن استمرار الحال على هذه الصورة محال .

انـور : فهل نظل مكتوفي الايدي ؟! هنـاك جمعيـات تتشكل .. وعلينا الانضمام اليها والعمل من خلالهـا ..

عبدالرحيم : حقا آن ان نعمل .

رجـل ٢ : لم يبق طريق آخر ..

(ينتقل الضوء الـى الشيخ سعيد .. الوالي مسترخ على الكرسي يهز المنشة بحركة رتيبة امام وجهه) .

الشيخ سعيد : وعسى ان تكرهوا شيئا وهـو خير لكم ، فانكسار جيوش الاسلام الهم خليفة المسلمين ان يحزم الامور ، ويشد على الايمان ،ويعطي الامر للعلمـاء ، ويوقف موجة الكفر التـي شملت امـة الاسلام ..

(يخفت الضوء على الحلقة)

المنـادي : وفي العام ذاته ١٨٧٨ عزل احمد جودت باشا .
(ينسحب الممثل)

الممثلـة : ووجهت ولايـة الشام الى مدحت باشا .

(تنطلق زغاريد .. يعـم الفرح بعض الوجوه .. والاهتمام الجاد بعضها الآخر . بعد فترة .. يدخل الممثل .. يحاول المنادي

والممثلـة تكرار الحركات انسابقة . الممثلـة تناوله القناع ، فيأخذه ويرميـــه أرضا ، .تحاول التمسح به ، فينحيهـا بحركة فظة، يقدم له المنادي المنشة فلا يأخذها .. يظل واقفا يتفرس في الوجوه .. ويتطلع حولـه اثنـاء هذه العمليـة .. المقهى مضاء .. والحوار يتناثر مقطعا ..)

رجـل ٢ : ان يأتي ابو الدستور نفسه واليا ، فهذا امر خطيـر .

عبدالرحيم : لا ريبانه سيولي مطالب البلد اهتماما كبيرا.

انـور : بعـد ان وضحت نية السلطان الاستبدادية، لا ارجو خيراً كثيرا حتى من مدحت باشا .

رجـل ٣ : لعلهم ارسلوه كي يمتص النقمـة .. ويوقف اتجاه النوايا الى اقامة دولة عربية .

عبدالرحيم : ربما صح ذلك ، الا أن ميولـه الاصلاحية ، وافكاره التحررية امران لا جدال فيهما .

رجـل ٢ : لا اشك انه سيطلق الحريـات ويصلح بعض الادارات الفاسـدة .

انـور : اذا فعل ذلك ، قد نفيد من ولايته لتوضيـح مطالبنا وبلوغها . ربما اتاحت لنا هذه الفترة نشاطا كبيرا يعم جميع الولايات العربية .

(يخفت الضوء على المقهى .. الحديث مستمر

ايمائيا .. الجمود يسود حلقة الغبرا) .

المنادي : (منحنيا امام الوالي)هناك دعوةللتكريم اقامها اعيان دمشق .. وهناك دعوة للغداء ثم دعوة للعشاء .

مدحت باشا : قبل الدعوات اريد ان اتفقد احوال البلاد ..

المنادي : هل ادعو كبار الموظفين ليقدموا تقاريرهم ؟

مدحت باشا : دعني من تقارير كبار الموظفين ، اعرفها جيدا دولتنا بحاجة الى تقارير عن كبار موظفيها لا تقارير منهم . لا .. سأتفقد الاحوال بنفسي لنبدأ جولة في المدينة ، وفي دوائر الحكومة .. ثم تسمع بعدئذ ما يريده الناس .

(يعلو الضوء حول المقهى .. رجلان يتجهان نحوه .. حلقة الغبرا تضمر اكثر فاكثر ..)

رجل ١ : (اثناء سيرها) اي هذا والٍ .

رجل ٢ : همته العظيمة فاتحة خير انشاء الله .

رجل ١ : مشى على قدميه في شوارع المدينةوحواريها.. راقب وفتش بنفسه .

رجل ٢ : لم يكن سواه يترك السرايا حتى ولو خربت الدنيا .

رجـل ١ : انزعج من كثرة الاوساخ وامر بنظافة المدينة .. دخل المحلات والمقاهي .. وابدى ملاحظات حول كل شيء .

(ينتهيان الى المقهى .. وينضمان الى جماعتها .. تنتقل بقعة الضوء الى القباني ومحمود العمري) .

القبـاني : اسمعت يا محمود ؟ . حضرة الوزير مدحت باشا لم يعجبه انتشار الكراكوز في قهاوي الشام .

محمود : كذلك لام الاعيان والاوادم لانهم يقبلون هذه التسلية البذيئة ويحضرونها .

القبـاني : هل تفهم الدلالة .. هو المتنور ابو الدستور والاصلاح لا بد ان يعرف قيمة المرسح ويقدره . ربما حان الوقت لتنفيذ ما انويه منذ سنين .

محمود : الا تنتظر قليلا ؟.

القبـاني : ولم الانتظار ؟

(يخفت الضوء على بقعة القباني) .

مدحت باشا : هل دونت كل الملاحظات ؟

المنـادي : لم اغفل شيئا .

مدحت باشا : والقرارات ؟ ..

المنـادي : كلها صدرت وعممت على دوائر الحكومة .

مدحت باشا : ما ينبغي ا نهتم به الآن هـو زيـادة عـدد المدارس .. من الغريب الا توجـد جمعيات ثقافيـة في دمشق .

المنـادي : تأخر الناس وغفلتهم ، اضافة الـى معارضة بعض المتسلطين على عقول العامة ، اخرانشاء المدارس والجمعيات .

مدحت باشا : لا تقدم بلا علم .. منذ الغد يبدأ العمـل لتأسيس جمعية تنشيء المدارس للذكـور والاناث سنسميهـا « الجمعية الخيريـة » نقدم لهـا المساعدات ونشجع اهالي دمشق على تعهدها وتغذيتها بالجهـدوالمال(صمت). الا يوجـد فيدمشـق من يعرف فن المرسح؟

المنـادي : احمد ابو خليل القباني يحاول هذا الفـن منذ سنوات عديدة ، وعلمت ان اسكندر فرحالذي يعمل في دائرة الاجراءات الجمركية له ايضا المام بهذا الفـن ، لكـن القباني لاقـى متاعب جمـة عندمـا جرّب تقديم رواياتهللناس ..

مدحت باشا : احضرهما غدا الى السراي ..

(ضوء على المقهى) .

رجـل ٢ : يا جماعة منذ اليوم سيصبح العدل بالعربيـة ادام الله والينا .

رجـل ٣ : العدل بالعربيـة !

رجـل ٢ : اي نعم .. اصدر الوالي امرا يجيز استعمال اللغة العربية في دوائر العدل .. ولن يحاكم الناس بعد اليوم بالتركية .

عبدالرحيم : هذا اول اعتراف ببعض حقوق العرب كجنس مستقل .

رجـل ٢ : وهناك على ما علمت تغييرات كثيرة ستتم في الادارات العامـة .

رجـل ٢ ووعد في مأدبة الاعيـان ان يرعـى الحريـات الشخصية ، ويمنع تعديات رجال الحكومةعلى العبـاد .

عبدالرحيم : كل الدلائل تؤكد ان الوالي جاد في مشايعـة الميول التحررية .. وتحقيق ما يمكـن مـن الاصلاحات ..

انـور : هذه الفرصة ثمينة حتى نعمل بحرية اوسع . . نبصر بني قومنا بحقوقهم، ونقوي لديهم الاتجاه نحو الاستقلال والاخذ باسباب المدنيةوالتقدم . (يخفت الضوء على المقهى .. امام الوالـي الآن القباني يبدو عليه الارتباك ، واسكنـدر فـرح) .

المنـادي : امامك يا حضرة الوزير ابو خليـل القبانـي واسكندر فرح كلاهمـا لديه المام بفن الاجواق والكوميضة .

مدحت باشا : اصحيح انك الفت جوقا للتمثيل ، وقدمت في دمشق بعض الروايات ؟.

القبـاني : (مضطربا) انهم جمع من الاصحاب والاصدقاء يا حضرة الوزير ، نعد روايـة ونقدمهـا في بيوتنا بما لا يضر احدا .

مدحت باشا : اذن انت قادر على تاليف جوق وتقديم رواية تمثيلية للعموم .

القبـاني : اذا امرني حضرة الوزير فاني مستعد .

مدحت باشا : ابدا دون تأخير .. ستحضر مع اسكندر رواية للناس حتى يعرفوا المرسـح ، ويفيدوا مـن ثمراتـه .

القبـاني : كيف اعبر عن الشكر والامتنان ؟ انتظـر هـذا اليوم منذ عشر سنوات .

مدحت باشا : سأقدم ما تحتاجه الرواية من نفقات .. وانت يا اسكندر لا تات الى وظيفتك الا ساعة فـي النهار حتى يتهيأ لك وقت للعمل .

القباني واسكندر : (وهما يخرجان) ادام الله حضرة الوزير ..

المنـادي : قد تشير يا والينا حفيظـة بعض المشايـخ

المتسلطين على العامة ، فهم يستنكرون كل
جديد . يعتبرونه بدعة ويهاجمونه . وفي
فترة لعنوا ابن القباني جهارا في الحلقات .

مدحت باشا : ساحمي هذا العمل .. احضر افتتاحه ،واجبر
الوجهاء والعلماء على حضوره حتى يقتنعوا
بان المرسح له دور كبير في تنوير الناس «وما
دمت واليا على هذه البلاد لن اسمح لبعض
المتزمتين ان يفرضوا ظلام الجهل والتأخر
عليها ، كفانا ما وضعوه من الاغلال في عنق
دولتنا وما نصبوا امام تقدمها من
العراقيل .

(ضوء على القباني ومحمود واسكندر فرح
.. وجوههم تتألق بالفرح) .

القباني : هيا يا محمود .. انفتحت الابواب امامنا ..
اريدهمة كل الشباب . اذهب واحضرهم فورا . .
(الى اسكندر) الديك فكرة عن رواية
نقدمها ؟

اسكندر : عربت رواية اسمها عايدة .. تضع لها الالحان
والاغاني ، ونبدأ العمل بها فورا ..

القباني : لهذه الحفلة لا باس .. اسمع . اعرف ان
خبرتك جيدة في فن التمثيل ، يمكن توزيع
العمل بشكل مفيد .. أنت تتولى تدريب
الممثلين وانا انصرف الى وضع الالحان ..
واعداد الرقصات .

اسكنــدر : موافق .. لكن اين تقترح تقديم الروايـة .. يجب أن نختار مكانا يليق بحضرة الوزير .

القبـاني : ما قولك بجنينة الافندي فيبـاب توما ؟ ..

اسكنـدر : والله وجدتهـا ...

(ينتقل الضوء الى حلقة الشيخ سعيـد الغبرا .. لم يبق معه آلا الشيخ الاخر فقط ، .. يتكلمان بصوت خافت) .

الشيخ سعيد : بعض الذين جاؤوا من الاستانة اخبرونـي ان السلطان عازم على رفع راية الدين عاليـة مصونة ، سيلم شمل البلاد الاسلامية بقبضة من حديد ، ويكون خليفتهـا كمـا فيالازمان السالفـة .

الشيخ الاخر : اصحيح انه جعل الشيخ «ابو الهدىالصيادي» صفيه ومستشارهفيكل فرمان او تشريع؟..

الشيخسعيد : نعم .. ولن يمضي وقت حتى يمنع تغلغـل التيارات الغريبة ، ويضرب هذه المفاهيـم الجديدة التي انحلت بها عقول الامة .

الشيخ الاخر : لكن والينا لا يفعـل الا نقيض ذلـك ، يقـرب الذين يتباهون بالافكار الجديدة .. ويستهتر بالعلماء والائمة . منذ جاء ولا حديث الا عـن التعليم والجمعيات واقتباس الفنونالجديدة.

الشيخ سعيد : هذا الوالي مريب النوايا .. لعب بسلطانين ،

ثم اغوى الثالث بدستور لا يقوم على شريعة. .
لكن السلطان عبدالحميد عطله والحمدلله قبل تطبيقـه .

الشيخ الآخر: الا يعرفون في العاصمة ما يفعله الوالـي في دمشـق ؟

الشيخ سعيد: لا بد ان للسلطان تدبيره الحكيم .. ولكن في كل الاحوال ، من الواجب على كل غيور تبليغ العاصمة بما يحدث .

(يدخل ابو احمد الكراكوزاتي وهو يضرب كفـا بكف) .

ابو احمد: عدنا يا شيخ سعيد الى صرعـة المرسـح والتشخيص . . اما هذه المرة فلها نغم آخر. الوزير بمقامه وسلطانه يتبنى العمل،ويشرف عليه .. سبحان موزع الحظوظ .. ركبت سوسته على سوسة ابن القباني ، فاستدعاه وفتح له خزينةالولاية يسحب منها ما يشاء. صرفوا له ما يزيد عن تسعمائة ليرةعثمانية.

الشيخ سعيد: تسعمائة ليرة عثمانية ؟!

ابو احمد: اي نعم يا شيخ .. تسعمائة ليرة عثمانيـة لشراء الملابس الخلاعية واعداد مشاهـد الصبابـة والفجور . .

الشيخ سعيد: الم يجد حضرة الوزير سبيـلا افضـل لانفاق الاموال العامة ؟!

الشيخ الآخر : مبلغ يكفي لكسوة جامع .

ابو احمد : وما يقلق يا شيخ سعيد هو ان الوالي يريد ان يفرض هذه البدعة بالقوة .. سيجبر كل مشايخ البلد واعيانها على حضور الرواية.. العمى اي لو كان مولد سيدنا الرسول لما ابدى الوزير كل هذا الاهتمام .

الشيخ الآخر : استغفر الله . استغفر الله .

الشيخ سعيد : لا اله الا الله :

(ينتقل الضوء على المقهى .. المجموعة ملمومة في حلقة ضيقة بما يوحي بالحذر والاهتمام .. يناول انور احد الرجال حزمة منشورات) .

انور : سنوزعها في الليل ..

عبدالرحيم : بدأ الجواسيس يكثرون .

رجل ٢ : لا سيما بعد المنشور السابق .

رجل ٣ : عرفت ان مدحت باشا نفسه ليس ضد ما جاء في المنشور خاصة فيما يتعلق باستلهام الامجاد العربية والمطالبة بالحكم الذاتي .. فهو يرى انه السبيل الوحيد لامتصاص النقمة، ومنع الاتجاه الى الاستقلال .

عبدالرحيم : مع هذا لا يبدو ان هناك اتفاقا بين افكار مدحت باشا وما ينويه السلطان ..

رجـل : لن تدوم ولايته طويلا ..

انـور : سنستفل ولايته بما نستطيع .. الليلة بعـد خروجنا من رواية ابي خليل القبانـي نتفرق في احياء دمشق ونوزع المنشور .

(ينتقل الضوء الى ابي خليل ومحمـــود واسكندر .. يبدو عليهم الفرح الغامر) .

محمود : ليلة من ليالي العمر .. اتذكر يـا ابا خليـل يوم جاءنا الوالي صبحي باشا ..! فرق كبير . آه لو رأيت الدهشة التي سيطرت علـــى الحضور .. حتى المشايخ فردوا وجوههم بعد كتم وبعضهم صار يميل مع الغناء ..

القبـاني : بعد هذه الليلة صرت متأكدا اننا سنقيم في الشام مرسحا دائما يؤدي الفرض .. ويكمل مظاهر النهضة التي تلم بالبلاد .

اسكنـدر : كل الظروف مهياة للاستمرار .. امرنا الوالي ان نحضر روايات اخرى ..

القبـاني : وهذا ما سنفعله ..

اسكنـدر : هل ابحث عن رواية اعربها ؟

القبـاني : لا .. دعنا من التعريب .. لدينا تراث غنـي بالقصص والامثال فلمـاذا لا نستلهم منـــه اعمالنـا ؟

اسكنـدر : ولكن الكوميضة فن آفرنجي !

القبـاني : ما احلم به هو تقديم كوميضة تبدو وكأنها نبتة من ارضنا بالذات .

اسكنـدر : وكيف يتحقق ذلـك ؟

القبـاني : حين نستمد اتقصص من تراثنا ، فنحيـي امجادا قديمة ، ونقدم شخصيات واجـواء قريبة من مشاعرالناس،ثم نمزج بها غنـاءنا والحاننا الشرقيـة تظهر الرواية كانها فن نابع من هذه البلاد ..

اسكنـدر : والله .. طموح جليل يسرني ان اعمل معـك لبلوغـه ..

محمود : الف ابو خليل روايات عديدة استمدها مـن القصص القديمة .

القبـاني : ويمكنني خلال ايام انجاز رواية جديـدة (لحظة) ولكن بعد هذا الا توافق بأن الوقت مناسب كي يصبح لنا مرسح مستقر نجهزه كما يجب .. ويتعود الناس المجيء اليه ؟

محمود : اما زلت تنوي ركوب هذه المخاطرة ؟

القبـاني : كدت انفذهـا عندمـا كانت حقا مخاطرة .. اما اليوم فلا يجوز التردد ..

اسكنـدر : عم تتكلمـان ؟

محمود : يا اسكندر افندي .. يريد ابو خليل ان يبيع حصة له في جديدة عرطوز وكذلك القبان . اي كل ما يملكه من ارزاق حتى يؤسس مرسحا للجوق يعمل على مدّ العام .

اسكندر : لعنة الله عليّ ان لم تكن فكرة عظيمة .. ولا اشك ان الوالي سيساعد على اتمامها ويتبرع بجزء من التكاليف ..

محمود : واذا .. لا سمح الله..سيصبح على الارض..

القباني : عندئذ تقول راح فداء المراسح والاجواق .

اسكندر : ما رايك يا ابا خليل باستئجار خان الجمرك بباب البريد ؟

القباني : المكان فسيح وموقعه مناسبه ..

اسكندر : يمكن ان نجعل منه مرسحا على احدث طرز .

محمود : اللهم اجعله خيرا .

اسكندر : كله خير .. اذا صار مرسح وجوق منظم (يتوقف) لكن تبقى مشكلة النساء ..

محمود : هذه بعيدة في الشام .. يستحيل أن تجد امراة تقبل الظهور امام الرجال للتشخيص .

اسكندر : في بيروت قد نجد من تقبل ذلك .

القباني : فعلا لماذا لا ابحث عن آنسات للتمثيل في بيروت !

(يخفت الضوء على القباني) ٠

المنـادي : استيقظت دمشـق يا حضرة الوزير على منشور جديد ..

مدحت باشا : ماذا يتضمن المنشور ؟

المنـادي : يلوم اهل الشام على استكانتهم ثم يدعـوهـم للنهوض والمطالبة مبدئيـا بالحكم الذاتـــي والاعتراف باللغــة العربية لغة رسمية ،وبرفع كل القيود التي تحد من حرية التعبيروالتعليم واستخدام القوات العسكرية المحليــة فــي المهام الداخليــة بعيدا عن حــروب الدولــة العليــة ..

مدحتباشا : كل هذا منشور واحد ..

المنـادي : نعــم ..

مدحتباشا : (يجلس متعبا على الكرسي . يحمل راسه بين يديه وكانه يحدث نفسه) ولكنهم في الاستانة لا يرون ولا يسمعون ، او لعلهم لا يريدون ان يــروا ويسمعوا .

(ضوء على الفبرا ومعه الشيخ الاخر)

الشيخ سعيد :(هامسا) مع هكذا وال لا غرابــة اذا كثرت الدعاوي المريبة .. والصقت بيانات الكفرعلى ابواب الجوامع ، وكسبت تجارة البــدع . وتنزل قـــــدر العلمـاء ، وليس بغريب ان

يحرمنا من الاوقاف التي نديرها . ولكن اين سادة الشام واهل الدين فيها ؟ هل غيبهم الخوف !

(ينتقل الضوء على المقهى . نرى انور والرجال الثلاثة) .

رجل ٢ : تبدو البلد كالنائم الذي يستفيق .. فيها حركة لم نشهدها من قبل ..

رجل ١ : بالفعل كأنها تنهض بعد نوم طويل .. جمعيات ..جرائد.. مدارس .. وخلال ايام سيفتتح ابو خليل القباني في خان الجمرك مرسحا على احسن الاصول ..

رجل ٢ : مرسح من طراز رفيع .. باع كل املاكه حتى يقيمه ويجهزه احسن تجهيز ، وقد اكتمل جوقه بعد ان نظمه ، واحضر من بيروت آنستين لتمثيل الادوار النسائية .

انور : سيذكر الناس طويلا ان ابا خليل القباني هو مؤسس فن الكوميضة في دمشق .

رجل ٣ : عمله اثبت اننا قادرون على اتقان كل فن ومجاراة كل تطور .

انور : اذا تيسرت للناس سبل المعارف والتجديد فانهم أسبق من غيرهم الى اقتباسها والنهوض بها .

(يدخل عبدالرحيم مسرعا وقلقا .. يتطلع حوله ، ثم يناول كل واحد منشورا) .

رجل ٣ : (وهو يقرا بصوت خفيض)

ساد الفساد فساد الترك فيه بلا معاكس .

كم تأملون صلاحهم ولهم فساد الطبع مائس

عبدالرحيم : (خائفا) لا .. لا .. خبئوها في جيوبكم .. رجال التحري كالجان يملأون المدينة .

رجل ٢ : ومعظمهم للاسف من اهل الشام .

انور : طبعا هذه النهضة لا تعجب لا السلطان ولا المتزمتين والمحتكمين في بلادنا ..

عبدالرحيم : علمت ان بعض العلماء والاعيان سيجتمعون لعرقلة هذه النهضة .

رجل ٣ : تفو .. كأن التقدم كلب يعضهم .

انور : ولكنه يعضهم فعلا .. انهم يستفيدون من الفساد وبقاء الناس في تأخر وجهل حتى يتحكموا بالرقاب ويحفظوا مغانمهم .

عبدالرحيم : اخشى ان ينجحوا في عرقلة نهضتنا .. انهم يستمدون القوة من السلطان لتوافق الميول كما ان لديهم اسلحة قوية مثل الدين والتقاليد وتكوين المجتمع لديهم .

انـور : ربما عطلوا التقدم فترة .. لكنهم لا يستطيعون ايقافه .. فهم يريدون ان يتحرك الزمـان الى الوراء وهذا مقتلهم ... حتمـا سيكون بيننا صدام ، لكن حركة التقدم تمشـي ولن تتـوقف .

(يدخل رجل غريب)

عبدالرحيم : (هامسا) يكفي .. يكفي .. اي اين سنسهر اليـوم ؟

(تنتقل بقعة الضوء على القباني واسكنـدر ومحمود وابراهيم .. يسودهم هرج).

القبـاني : الليلة يتحقق حلم العمر يا شباب..كله جاهز؟

اسكندر : تقريبا لم يبق شيء .. اتقن الممثلون ادوارهم .

القبـاني : كيف وجدت الانستين لبيبة ومريم ؟

اسكندر : انهما افضل من شبانك المرد .

ابراهيم : والله عشت وشفت امـرأة .. لها ... ولها ستظهر على المرسح .

القبـاني : يومها قلت يا ابراهيم اني احلم ..

محمود : ولكني خائف من الزعر .. وجـود آنستيـن حقيقيتين لهما .. اللهم صل على النبي .. تفهمان ما اعني ..

القبـاني : خلال فترة يتعود المتفرجون على احترام الممثلة

.. لا تخف .. ماذا بقي ؟ المناظر ..

ابراهيم : (مسرعا ومقاطعا) كلها كاملة وخاصة ايوان الملك والسجن .. اجارنا الله ! لا تخلو رواية لعمنا القباني من منظر السجن .

القباني : ماذا نفعل؟الحياة مليئة بالسجون يا ابراهيم.. يا الله..لم يبق اذن الا ان نهيء كلمةالافتتاح والترحيب .. تعال معي يا اسكندر ..

(يتلاشى الضوء عليهم) .

المنادي : كل المنشورات تصل الى العاصمة .. بدا اللغط يثور حول شخص الوزير بالذات .

مدحت باشا : (متعبا ومهموما) اعرف ذلك (لحظة . كأنه يحدث نفسه) آه . لو انهم مخلصون للدولة العثمانية اخلاصي لها ..ولكن لا فائدة ! هوت الدولة ومن حقهم ان يسموها الرجل المريض.

المنادي : استغفر الله يا حضرة الوزير .. الدولة سيدة الدول .. والدرة في تاج الامم .

مدحت باشا : (يتأمله بسخرية.. يغير الحديث فجأة)كيف تسير احوال الجمعية الخيرية ؟

المنادي : على ما يرام يا حضرة الوزير ..فتحت عددا جديدا من المدارس ، واعرناها مطبعة الولاية لاستنساخ الكتب الضرورية .

مدحت باشا : سأتفقد اعمالها ..ولكن ماذا لدينا اليوم ؟

المنـادي : الن يحضر الوزير افتتاح مرسح القباني في خان الجمرك ؟. تمّ تجهيز المكان والرواية .

مدحت باشا : طبعا .. هذا عمل هائل .. ادع الى الافتتاح كل اعيان دمشق وعلمائها .. اريدهم ان يعلموا جميعا تأييدي لهذا المشروع ورعايتي له .

(تتقدم الممثلة ، بينما تبدأ اضواء متفرقة في الانتشار على المسرح) .

الممثلـة : وازدهر العمل في مسرح القباني . يغص كل ليلة بالمتفرجين ، ولو تأخر واحد عن الميعاد المضروب لما وجد محلا للجلوس . وبدات الكوميضة ، كما كانوا يسمونها ، تصبح ظاهرة في حياة الناس ، يتحدثون عنها ويرغبون في التفرج عليها ، ويدمجونها في حركة التمدن التي بدأت تشمل مجتمعهم آنذاك ..

(تتالى بعض مقاطع من مناقشات حول المسرح في بقاع مختلفة من الخشبة متوزعة مع انتشار الاضاءة .. انور ورجل مسن).

الرجل المسن : انه مكان لترويج الرذيلة .

انـور : ليست رذيلة ان تقدم روايات تكشف عيوب البشر ، وتبين لهم عواقب الاخطاء حتى يعتبر النبيه ، ويقوم ما فيه من اعوجاج .

الرجل المسن : ما يحدث في ذلك المكان جنون يزيد في الناس

الاعوجاج . الذين يدخلون اليه يضيعـــون
مقاماتهم ، ويفقدون سيطرتهم على السنتهم ،
ثـم يصبحون بعد حين وكأنهم جمع مـــن
المخمورين ساوت بينهم الخمرة ، ووحدتهـم
النشــوة .

انــور : تلك من اخص فضائل المرسح ،فهو يقوي عند
الناس الميل الى الاجتماع. لانه يزيـــل مـــن
نفوسهم اكدار الخلاف والتعصب والامتياز .
ثم يدفعهم الى الترابط وحب الاجتماع . ولا
شك ان ذلك اساس ضروري لتقدم الافــراد
والامـــم .

(يستمر النقاش ايمائيا ، في بقعة ضــوء
اخرى عبدالرحيم وابو احمد الكراكوزاتي).

عبدالرحيم : اي شوجاب وين لوين . كراكـــوز فرجة ،
والمرســح فرجــة .

ابو احمد : لا تفلقني . . ما هذه الفرجة ! ايحدث فـــي
الماخــور اكثر من ذلك . . يختلط الرجال
بالنساء . . وتهييج الشهوات مـــع الرقص
والغناء حتى يصبح المكان اسوأ من الماخور
. . يخرج من يدخل اليه مصروع العقل هائج
الطبيعـــة .

عبدالرحيم : انت من يحكي . . كراكوز عنده مـــن بــذيء
الكلام اكوام . . اما روايات القبـــاني ففيهـــا

فصاحة وفائدة .. انها تلطف اذواق الناس وتخلصهم من التزمت والتعصب وبذلـــك ينفتح مجتمعنا تدريجيا على الحياةالعصرية.

ابو احمد : بل يصبح كله ماخورا . في الحقيقة هــذا ما تريدونـــه .

عبدالرحيم : عيب يا ابا احمد .. مثلك ليس له مصلحـة بمهاجمة المرسح . بل ينبغي أن يقف معه . وعملـــك ينبغي ان يكملعمله .

(يستمر النقاش ايمائيا في بقعة ثالثة ، الممثلة وقد تحولت امرأة دمشقية وامامهـا زوجهـــا) .

المرأة : يلعن ابو المرسحات والقوميدات ومن ادخلهـا هذه البلاد .. كل ليلة.. كل ليلة اما شبعت بعـــد !

رجـــل ١ : اخرسي والا فرمت لسانك .

المرأة : كيف اخرس ! منذ متى لم تسهر في البيت . لا تكاد تبلع لقمتك حتى تخرج كالملطوش الى محل أبن القباني.العمى كأنه اصابك بالسحر.

رجـــل : والله وتاالله كلمة واحدة وتكونين طالقا ..

(تبكي ايمائيا ... تتلاشى المشاهـــد الثلاثة الســابقة .. يتركز الضوء على الفبرا والشيخ الآخر) .

الشيخ سعيد : لا . . هذا وقت . . اعلان الجهاد فيه واجب . . ستنهار القواعد ودعائم الحياة ، وسنكون المسؤوليـــن .

الشيخ الآخر : حقا فاحت الرائحة . . في البلد مفاسد يشيب لها الراس . . هذه الدعاوي الغريبة وتلــك المنشورات وهياج العامة كلها دلالات علــى تدهــور حال المسلمين في هذه البلاد .

الشيخ سعيد : واخطر هذه المفاسد ، بل وما يجمعها كلها هو بدعة ابن القباني التي يتزاحم عليها النــاس اكثر مما يتزاحمون على الصلاة .

الشيخ الآخر : اعوذ بالله . . بدعة قلبت الدنيـــا ، تمتص اخلاق الناس واموالهم كأنها شيطان رجيم .

الشيخ سعيد : خطورتها اكبر من ذلك بكثير ، يحدث في ذلك المكـــان ما هو ادهى والعن . . أتعرف مـــاذا يشخصون هناك ؟

الشيخ الآخر : عرفت انهم يشخصون قصصا حافلة بالمباذل .

الشيخ سعيد : لا . . لا . . هذا شر يهــون امام شر آخر . . يشخصون هرون الرشيد .

الشيخ الآخر : هرون الرشيد !

الشيخ سعيد : نعم . . هرون الرشيد خليفة المسلمين . . تصور ان يقف هؤلاء الصعاليــك ، ويتقصموا امام الناس خلفاء المسلمين ، فيصغر شانهم . .

ويتنزل قدرهم ، وتضعف رهبتهم .. وهذا
اذا استمر خطر له ابعاد جسيمة ..
اسألني لماذا ؟

الشيخ الآخر : اعوذ بالله .. لماذا ؟

الشيخ سعيد : لانهم اذا تجرأوا الان وشخصوا هرون الرشيد، فما الذي يمنعهم بعدئذ من تشخيص كل الخلفاء والصحابة ، والذين تقوم على الخشية منهم والاقتداء بهم دعائم الدين ، تصور ان تشخص كائنات تافهة ماجنة الصحابة رضي الله عنهم جميعا وخلفاء المسلمين واهل التقى ، معنى ذلك انهم يجسدونهم في صور مهلهلة وضيعة تتخلخل بها العقول .. فتضيع المهابة .. وتذهب الخشية ، ويرى المرء اسلافه مجرد مخلوقات عادية لا تختلف عنه بكثير او قليل .. هذا اذا لم تبد مهازل تثير السخرية بدلا من الرهبة والهيبة .

الشيخ الآخر : يالطيف ..

الشيخ سعيد : وما ادراك .. لماذا لا ننظر الى ابعد .. فبعد فترة لن يتورعوا عن تشخيص اعيان دمشق وعلماءها والسادة فيها .. يصورونهم اشخاصا عاديين حتى يفقدوهم ما ينبغي لهم من الاحترام، ويقللون منزلتهم وشأنهم في عيون العامة من الناس ، عندئذ تنهدم طبقات المجتمع فلا تعلو منزلة على منزلة ، ولا قدر على قدر ، ويتطاول

اي رجل من سواد الناس ليقيس نفسه بواحد من الاعيان او العلماء ، المراتب والقواعــــد والحدود كلهـا تنهار ، وهذه البدعة يمكن ان تخرب مجتمعا باكمله ، فهل يعلم اعيان الشام وعلماؤها ذلك ؟

الشيخ الآخر : لا ريب انهم غافلون عن هذه الاخطار ، ولكـن ما العمل ما دام مدحت باشا يتبناها ويشجعها؟

الشيخ سعيد : عندمـا نجعل السادة والعلماء يلمسون اخطار هذه البدعة ويقررون الاجمـــاع ضدها ، فسنوفف الخطر قبل استفحاله ، هذا وقت ... الجهاد فيه واجب مقدس ... فلنبدأ مسعانا ولنمض اولا الى السيد البكري ، ثم نحاول عقد اجتماع عام ..

(يخرجان .. الوالي يجلس يائسا علـــى كرسيه .. تتقدم الممثلة) .

المنـادي : طال هذا الفصل التاريخي ايتها الزميلـة .. وجعفر المنصور لا بد انه عثر على جاريـــة الخليفــة .

الممثلـة : معك حق ... لكن بقي مشهد صغير فقط ، وبعدها نعود الى هرون الرشيد وقوت القلوب.

(ضوء على القباني ومحمود) .

محمود : اللغط حولنا يزيد رغم اننا نوزع المبالــغ المعلومة على كل صاحب لغة .

القبـاني : الاقبال يطمئن الى ان الانصار اكثر من الاعداء .. بدأ الناس يحبون المرسح ويتعلقون به .

محمود : الا ان الشيخ سعيد ينقط السم من وجهه ولسانه .

القبـاني : الوالي اقوى من الشيخ سعيد .. وهو يؤيد مرسحنا ويرعاه .

(يخفت الضوء) .

المنـادي : ولكن على اي وال يعتمد القباني ؟

الممثلة : في عام ١٨٧٩ عزل الوالي مدحت باشا .

(يخرج الممثل .. الجميع يشيعونه بحزن، ويخلو القسم الامامي من المسرح ، المنادي يزيح الستارة النصفية فنرى مشهداً يمثل بيتاً فاخر الرياش .. غانم وقوت في البيت) .

غـانم : يا ربة الحسن الزاهي والجمال الباهي ، هلا تسمحين لي ببلوغ الارب بعد هذا التعب ؟

قـوت : يا عزيزي تصبّر على الشدة وانتظر فروغ المدة، واكتف بالكفاف وتصبر بالعفاف .

غانـم : يا عزيزتي كم عالم ذل ، وعابد ضل ، فهل من سبيل الى الوصال ؟ فارحمي جسمي النحيل واشفي خاطري العليل .

قـوت : انا مع فضلك وملاحة شكلك اولى بصيانة عرضي دون الانام .

غـانم : سلبت فؤادي ، ونما سهادي ، اريد ان اقضي بك ليالي واياموتكون غرة لوجه الدهر ولنا نعيم وابتسام .

قـوت : لا توقع نفسك في الضلال لان وصلي ضرب من المحـال .

غـانم : قد طال تلهفي وانذهل لبي .

(يستمر الحوار على وزن يا تمرة تمرتيني).

بديعة المحيا صلـي المحب البـالي

قـوت :

صـه لا تكن بغيا فـان وصلي غالي

غـانم :

يا طليعة الثريا صليني حـان حـالي

قـوت :

حبيبي كن تقيا واصبر على الاهوال

غـانم :

الا ياقوترفقا عيل صبري ورقي فالغرام أذاع سري

قـوت :

اغانم دع هواك فدتك نفسي فان الامر هذا عين ضري

اترك امر الوصال بالكلية ، فأنا مـن سراري الخليفة هرون الرشيد .. وكان يحبني حبـا ما عليه مزيد ،وقد استولت على زبيدة الغيرة،

فأنزلت بي هذه البلية ، ولا يمكنني اجراء ما ذكرت من الوصال لان الخليفة لا بد ان يطلبني يا زين الرجال .

غانم : عدلت الآن عن العصيان ، ورمت العفو والغفران .

قوت : لا تحزن ايها المحبوب ، فان الله غفار الذنوب ، فعاملني يا صاحب الاحسان معاملة الاخوان .

غانم : نعم يا مائسة القوام ، بما انك لسيدي الخليفة الهمام ، فما كان لسيدي هو للعبد حرام وانت عندي الآن بمنزلة اختي فتنة التي جلبت لي بفراقها كل محنة .

قوت : لا ادري ما الذي جرى لي حين سمعت هذا المقال .. فأظن اني فتنت بهذا الجمال ... وتيمت بهذا الوجه اللطيف والخصر النحيل وما بقي لي الى الفرار سبيل .

(ترمي نفسها على غانم) .

قوت :

اليك اخا الهوى اهديت نفسي فصلني ان وصلك عين انسي

غانم :

انا يا قوت لا ارضى بوصل ولو اني سكنت اليوم رمسي

قوت : خلّ عنك الدلال واسمح لي بطيب الوصال .

غـانم :

اری ماء وبي عطش شديد ولكن لا سبيـــل الـى الورود

قـوت : اذن بماذا نسلي افكارنا يا زاهر القوام .

غـانم : لنستدع غلمان صديقي عبـــدالرحمـن ، فيسمعونا بديع الالحان . يا غلام ناد غلمـان وندمان صديقي عبدالرحمن .

صوت الخادم : حاضر ..

(يدخل الغلمـان) .

غـانم : اجلسوا واسمعونا شيئا من الالحان .

الغلمـان : سمعا يا رفيع الشأن .

بدري أدر لي كأس الطلى يالَيــل يـا عيـــن
فالراح لـي مضنـى حـلا آه يــا ليلــي
شمس تجلـت وانجلـت آه يــا عيـــن
عنـا العنا فاسمــح ولا
يا فاتنـي يكفـي صـدود يا للـي آه يا عيــن
يكفي صدود مضناك قد ذاق المنون يا عين

ما احتيالي يار فاقي في غزال علم الغصن التثني حين مال
آه يا لللـــي

(يدخل عبدالرحمن مسرعا وخائفا) .

غـانم : اهلا بصديقي واخي عبدالرحمن .

عبدالرحمن : لا .. لا .. الفرار والهرب من هذه الديار ،

جعفر ومسرور وجملة من العسكر يفتشون عليك ويريدون قتلك ، والقبض على قــوت خالبة القلوب، فأسرع يا صديقي بالهروب .

الغلمــان : هب لنا اذن الذهاب .

غــانم : سنمضي كلنا في الحال .

قــوت : آه حبيبي .

(كل منهما يمسك يد الآخر).

غــانم : اصبري مهلا يا فؤادي .

الغلمــان : امنح لنا اذن الذهاب .

غانــم : اصبروا على الولهان .. آه .. امان ..

الغلمــان : (وهم يخرجون مع غانم) سر بنا اذن في الحال وقتنا هنا قد طال .

جعفــر : اين غانم يا بنت الكرام ؟

قــوت : قد ذهب بتجارة الى الشام .

جعفــر : امر الخليفة قتل غانم ابن ايــوب ، والقبض عليك يا قوت القلوب ، اعذريني في هــذه القضية ولا تنسبيني للغرضية .

(يخرج .. يجر العسكر قوت القلوب) .

قــوت :

ظلموا غانم ذا القلب السليم ورمونــــي بالنكـد

وبسجني حكموا اهل من رحيم   واصطباري قد نفذ

العسكر :

كيف يجدي النفع والملك الفريم   وبهذا قد قصد

(يخرجون ، يسدل المنادي الستارة ، تتقدم الممثلة) .

الممثلة : (اثناء كلامها نضع قناع الولاة على الكرسي في مواجهة الجمهور ، بينما يعلق المنادي الطربوش على المسند العلوي) وبعد عزل مدحت باشا عام ١٨٧٠ وجهت ولاية الشام مرة اخرى الى احمد حمدي باشا .

(ضوء على سعيد الغبرا ومعه الشيخ الآخر).

الشيخ سعيد : طابت الريح ..

الشيخ الآخر : بعد ان ولى مدحت الزنديق لم يعد هناك من يحمي هذه البدعة .

الشيخ سعيد : ومعظم الاعيان والعلماء اقتنعوا بفساد التشخيص ، وبأنه خطر يهدد مقامات الناس وبناء المجتمع .من الافضل الاسراع في اتمام مسعانا .

الشيخ الآخر : هل هيأت المضبطة ؟

الشيخ سعيد : جاهزة ، بقي ان ندعو اكابر دمشق وشيوخها

الى بيت السيد محمود حمزة مفتي الديار ليو قعوا عليهـا .

الشيخ الآخر : يا لله .. خير البر عاجله ..

(ينتقل الضوء الى المقهى ، يبدو الوجوم على وجوه الجميع انور وعبدالرحيم ورجلان من المجموعة .. يدخل دركيان ، ويتجهان اليهم ، ينهض الجميع ، يبدو القلق والسخط على وجوههم ، يمسك الدركيان انور وعبدالرحيم ، يضعان الكلبشات في ايديهما ويجرانهما امام اعين الآخرين) .

رجـل ١ : اثنان آخران .

رجـل ٢ : الى سجون الاستانة فورا .

رجـل ١ : سجون الاستانة مليئة بالاحرار العرب ...

رجـل ٢ : يا ليت السجون فقط ! قاع البوسفور يبتلع كل يوم عددا من الشهداء الاحرار .

رجـل ١ : فحتام ننتظـر ؟

(تنتقل بقعة الضوء على الشيخ الغبرا ومعه الآخـر) .

الشيخ سعيد : مسعانا مضمون النجاح بعد ان امتلأت المضبطة بتواقيع الوجهاء والعلماء . خلال ايام اكون بين يدي خليفة المسلمين فنضع نهاية لكل هـذه البـدع .

الشيخ الآخر : لا تنس مطالبنا الخاصة .

الشيخ سعيد : انشاء الله .

(يخرجان في الاتجاه الذي سيق منه انور وعبدالرحيم) .

الممثلة : وحمل الشيخ سعيد الفبرا المضبطة ،وسافر الى الاستانة .

المنادي : والطريق الى الاستانة طويل ، فالى ان يصل الشيخ سعيد نعود الى هرون الرشيد وقوت القلوب .

(يزيح المنادي الستار ، المنظر يمثل سجنا فيه قوت القلوب) .

قوت : آه قد جار علي الزمان ، ورماني في السجن والهوان ثقلوني بالقيود والاغلال ، فوقعت في النكال ، فآه واحزناه بعد ما كنت انام فوق الفراش تحتالمستور، صرت آنام في السجن فوق التراب والصخور .. وابعدوني عن حبيبي غانم ، ذي اللطافة والمكارم ، وما لنا ذنب سوى العفاف، والتحلي بصفةالاشراف.

الدهر قطّع اوصالي	من بعد باهي الجمال
اسمح بوصل يا غزالي	فالسجن غير احوالي
ويلاه من جور الانام	قد حيرتني عذالي,

(يدخل مسرور ، ومعه جملة منالعسكر).

قـوت : مرحبا بمسرور الهمام ، اخبرني بمـا جد في هـذه الايـام .

مسرور : الحكم يا قوت للعليم العلام ، فاستغفري الله عن الذنب والاثام ، صدر الامر وبعد لحظات ينفذ المقدور وتجاورين القبور .. هذا امر الخليفـة المصون فاعذريني لاني عبـده المأمور .

(يغطي عينيها ويركعها ، ويدخل هرون الرشيد متخفيا .. اثناء هذه العملية يعبـر سعيد الغبرا مقدمة المسرح ويعلن المنادي).

المنـادي : ولا يزال الشيخ سعيد يجد في طلب الاستانة حامـلا تحت ابطه المضبطة .

قـوت :

خبر رشيد الراي ياباهي الشيم
بانني قد ذقت في السجن العـدم

وان حبيبي غانـم باهـي السنا
من قبل موتي طاهـرا ذاق العـدم

واأسفاه .. حين يتعسف الملوك تضيـع العدالة ، ويموت حق المظلومين . يتبعـون وشايات المتزلفين ، وتصبح اهواوهم هـي القوانين .. اصبر ايها الحبيب ، فان قدومي عليك قريب ، حفظت يا حبيبي حـق من لا يحفظ حقك ، وصنت عرض مـن لم يصـن

عرضك ، واحسنت لمن اساء اليك فرحمة الله عليـــك .

هـــرون : من الذي صان عرضي ولم أصن عرضه يا قوت القلــوته ؟

قــوت : هو يا مولاي .. غانم بن ايوب .. انقذني مـــن المنية ولم يدن مني بفعل يغضب رب البرية .

هـــرون : أحقيقي هذا الخطاب ؟

قــوت : حقيقي وراسك المهـــاب .

هـــرون : غانم لم يقتل بعد يا قوت القلوب ، وسنفرج عنك وعنه الكروب فتمني علي ما يسرك .

قــوت : اتمنى ، اتمنى ان تهبني لحبيبي غانم بن ايوب .

هـــرون : واين هو يا قوت القلوب .

قــوت : لا ادري وحق علام الغيوب ، فارجوك ان تاذن لي بالتفتيش عليه .

هـــرون : اذنت لك في الوقت الذي تريدينه ، ونظـــرا لثباتكمـــا على الصيانة والشرف ، سأبلغ كـــلا منكمـــا ما يشتهيه .

قــوت : ايها المفضال ، ائذن لي ان اتزيي بزي الرجال .

هـــرون : لك ذلك في الحال .

الجميــع :

احفظه يـا كـريـــم وادم عــزه المستديم
ذو الاحســان العميــم والجـود المستديـم
فالهنـا دنا وتلنا المنـا ودمنا في هنا بحسن الختام
امـــان

(على الامان يسدل المنادي الستار) .

المنـادي : وخرجت قوت تبحث عن حبيبها ، وبلغ الشيخ سعيد غايـة الرحلة .. وصل الاستانة ومعه المضبطـة ..

(يقف الشيخ سعيد في بقعة من مقدمـة المسرح متجها نحو النظارة ، بيده العريضـة المفتوحة ويتخذ وضعية الخطيب) .

الممثلـة : وقيل انه رمى بنفسه امام عربة السلطان وهو خارج من قصره . فوقفت العربـة ، ونهض الشيخ سعيد ، وتقدم للسلطان بالعريضة .

المنـادي : وقيل انه استغل وجود السلطان فـي صـلاة الجمعة فانبرى من بين المصلين .

الشيخ سعيد : ادركنا يا امير المؤمنين ، فان الفسق والفجور قد تفشيـا في الشام ، فهتكـت الاعراض وماتت الفضيلة ، ووئد الشرف ، واختلطت النساء بالرجال . ان وجود التمثيل في البلاد السورية مما تعافه النفوس الابية ، وتراه على الناس خطبا جليلا ، ورزءا ثقيلا ، لاستلزامه

وجود القيان ينشدن البديع من الالحـــان
بأصوات توقظاعين اللذات في افئدة من حضر
من الفتيـان فيمثل على مــرأى الناظرين ،
ويسمع المتفرجين احوال العشاق ، ومــا
يجدونه من اللذة في طيب الوصل بعد الفراق
فتطبع في الذهن سطور الصبابة والجنون ،
وتميل بالنفس الى انواع الغرام والشجون..
كذا قد يرى الانسان فيه من اللهو واحاديث
اللغو ، ما يذهب بفكره ويضل عن وكره ،حتى
اذا مــا ارتكبت النفس اعظـــم الموبقات ،
واجترحت انكر المحرمــات لا ينفع مــن ثمّ
التلافــي بعد التلاف ..

(ينقطع صوت الشيخ سعيد ،ولكنهيستمر
في الخطاب ايمائيا ، بينمــا يفتح المنـــادي
الستار عن منظر يمثل غرفة فيها غانم وهو في
حال نوم وغيبوبة ، والى جانبه يقف صالح،
بعــد فترة من بدء المشهد ينتهــي الشيـــخ
سعيد خطابه ثم ينسحب) .

صالــح : ما اصعب غدر الزمــان الذي يرمي الناس في
الــذل والهوان ، كنت ذاهبا الى بعض الاشغال
فوجدته هذا الشاب مطروحا في الطريــق
غائبا عن الصواب جذبني اليه داعي الاحسان
فأتيت الى هذا المكان ، لا ادري اين بــلاده ولا
اعرف اسمــه .

(يرش الماء عليه ليوقظه)

غـانم : (وهو يستفيق)

بلوت الناس قرنا بعـد قرن فلم ار غير ختـال وقـال
ولم ار في الخطوب اشد هولا واصعب من معاداة الرجال

يا ايها الملأ افتوني في امري ، فقد ضاق والله صدري ، انعكس سعدي وانقلب . وصادمني الدهر بلا سبب .. وفي هذه البلاد لماذا يعيش الخسيس في نعيم ويذوق الشريف الضيم .

صالـح : اصبر يا اخي فالدهر قلاب ..

غـانم :

ومن العجيب من القضاء وصنعه
موت اللبيب وطيب عيش الاحمق

ايها السيد الجليل اوليتني جزيل الاحسـان فانعش الله بالك واحسن في الدارين مآلك .

صالـح : افديك بروحي والمال ، فاقم عندي بين اولادي واهلي حتى ينظم لك الحال ، ولا بد ان تتوصل الى بلوغ المقاصد والآمال .. يا غلام .

خـادم : لبيك ايهـا المطاع .

صالـح : ترفق بهذا الرجل الكريم ، واخدمه بنفسك علـى الدوام .

(يخرج صالح ، ينهي الشيخ سعيد خطبته ثم ينسحب .)

المنادي : وبعد ان القى الشيخ سعيد خطبته وقدم عريضته عاد مسرعا الى دمشق .

غانم : (من خلال غيبوبته)

هم حملوني في الهوى فوق طاقتي
فمن اجلهم قامت علي قيامتي
بحقكم يا جائرين تعطفوا
فقد رق لي من جوركم كل شامت

اتذكر نفسي بعد فراري من الدار ، همت على وجهي في البراري والقفار ، حتى جاء من اتى بي الى هذا المكان ، آه قد جار علي زماني ، وبفرقة امي واختي دهاني ، وبعدي عن حبيبتي قوت القلوب التي من اجلها ذقت هذه الكروب .

(يدخل صالح ومعه امرأتان فقيرتان) .

صالح : اهلا بالسيدتين الكريمتين ، اجلسا في اعز مكان ، وسأسعى جهدي في بذل الاحسان ، ايها الخادم خذ هاتين الفقيرتين ، ولا تغفل عن اكرامهما طرفة عين .

(يذهب صالح) .

خادم : اجلسا هنا ، فستنالان كل المنى .

ظهرة : انظري يا ابنتي هذا العليل ، نسال المولى الجليل

ان يخلصه من هذا السقم الطويل ، ويمن علينا
بلقاء اخيك الحبيب انه السميع المجيب .

(يعود صالح ومعه قوت القلوب مرتدية ثياب الرجال)

صالح : شرّف يا مولاي وانظر هؤلاء الفقراء ، اما هذا الشاب السقيم ، فاني وجدته على قاعة الطريق مقيم ، وللآن ما عرفت اسمه ، ولا سبب مرضه واما هاتان الفقيرتان ، فدعاني داعي الشفقة والاحسان ان اخلي لهما هذا المكان ، اذا كان الذي تبحث عنه موجودا هنا يا ابن الكرام فقد نلت المرام .

قوت : انتما من اي البلاد ؟

ظهرة : نحن يا مولاي من بلاد الشام ، فجارت علينا الايام . كان لي ولد وحيد فغاب عني وطال بعاده ، ذهب الى دار السلام بتجارة ، ولما لم يتدبر في حوادث الزمان ، احب جارية من جواري مولانا السلطان ، وبلغ الملك انهما اجتمعا ببعضهما فغضب عليهما ، سجن الجارية وامر بقتل ولدي وحشاشة كبدي ، كما صدر الامر بنهب دارنا في الشام فنهبوها واخرجونا منها في الظلام ، وهكذا سرنا حتى وصلنا بغداد .

قوت : ما اسم ولدك ؟

ظهـرة : اسمه غانم بن ايوب .

قـوت : أغانم ولدك يا اماه !

ظهـرة : نعم ولدي .

قـوت : واحر قلباه ، ومن تكون هذه الصبية ؟

فتنـة : انا اخته فتنة .

ظهـرة : وانت ما اسمك يا سيدي ؟

قـوت : انا من ذقت في حب غانم الكروب ووقعت في الخطوب ، خرجت ابحث عنه بعد أن عفـا الخليفة عنا لحفظنا العهد ، وصيانتنا العرض ، انا حبيبته قوت القلوب .

غـانم : (يصحو) قوت القلوب آه يا قوت القلوب .

قـوت : حبيبي غانم بن ايوب . . آه . . أأنت غانم ؟

غـانم : نعم يا مزيلة الكروب .

قـوت : واحبيباه !

ظهـرة : واولداه وانور عيناه !

غـانم : وا أماه

فتنـة : واأخاه واشوقاه !

غـانم : واختـاه !

صـالح : واغلاماه !

خـادم : واسيداه !

(يدق الباب ، فيخرج الخادم) .

قـوت : ابشرك يا حبيبي بعفو الملك عنا ، وقد وهبنـي اليك .. وكنت افتش عنك عندما التقيت في هذا المكان بأمك واختك .

غـانم : الحمد لله الذي منّ علينا باللقاء وخلصنا من البلاء .

(يدخل الخادم مضطربا) .

خـادم : الخليفة يا مولاي قارب باب الدار تعلوه المهابة والوقار . معه جعفر ومسرور .. ويريـدون الاستراحة قليلا ليتم لنا بوجودهم السرور .

صالـح : هيا افرشوا المكان ، واستعدوا لقدوم مولانـا السلطـان

(يدخل هرون الرشيد وجعفر ومسرور).

الجميـع : (بعـد ان يقفـوا)

مرحبا مولى الموالي مرحبا بدر الزمان انته سلطان المعالي
اقبل السعد وهنا صاحب العفو الكريم وازدهى حسنا ومعنى
يا الهي زده قدرا وابقه طول الدوام واعطه عزا وفخرا
في سرور وامان

هـرون : ماذا تصنعين هنا يا قوت القلوب ؟

قــوت : اجتمعت بعبدك غانم بن ايوب وها هــو بيــن يديك يا مفرج الكروب .

هــرون : اسانا اليك يا غانم ، ولما بلغنا صدقك وهبنــاك قوت القلوب ، وساعوض عليك ما تهبوه منــك في الشام وآمر بالتفتيش على امك واختــك بكــل اقــدام .

غــانم : اجتمعنا هنا يا ملك الزمان ، هـــذه امي .. وهذه اختي .

هــرون : هذا اجتماع عجيب وامره مطرب غريب .

صالــح : حيث كان الاجتماع عندي يا زين الاوصاف ، فارجوك ان يتم هنا الزفاف .

هــرون : لك ذلك .. (يتفرس طويلا بفتنة ثم يهمس لجعفر) كيف تجدها ؟

جعفــر : بدر فتــان .

هــرون : اذن لن نطلع من العرس بلا قرص .

جعفــر : وبذهاب قوت القلــوب نقصت سراري الملــك واحــدة .

هــرون : آه ، اشعر لواحظها رماح تحز الفؤاد ، وتنزل فيه الجراح ، اسرع قبل ان يطيش منـــي الصواب ، فارتمي على صدرهــا كالطيـــر المصــاب .

جعفـر : لا قدر الله ايها الملك الهمام، سأطليها بالعجل.
يا غانم ، مولانا اعطاك قـوت القلوب وازال عنك الكروب ، فقابله بالامتنان وقدم له هدية، اختك فتنة ، فقد وقعت لـديه موضـع الاستحسـان .

غـانم : هي جارية تهدى مني اليه ، وانا وامي واختي خدم بين يديه .

فتنـة : غانـم !

هـرون : بارك الله فيك ، افتح له يا جعفر الخزائـن واغمره بالذهب والمرجان .

(مسرور وجعفر يقودان فتنة المتمنعة ، ويرميانها في حضن الخليفة ، تنطلق زغاريد)

الجميع :

انعمت بالخير الجزيـل   يا ايهـا الملك الجليـل

فاسلم ودم طول المـدى   بالامن شافـي الغليل

دور

اشرقت شمس التهانـي   وبـه ضاء الوجـود

وانجلى صبـح الامانـي   وبدا نجـم السعود

(قبل ان ينتهي الدور ، يظهر الشيخ سعيد في المقدمة على اليمين ووراءه دركيان ،الشرر يتطاير من عينيه ، ويبدو كأنه يقود معركة).

الشيخ سعيد : بأمر خليفة المسلمين وامير المؤمنين اغلقوا هذا الماخور .

(يهجم الدركيان، فيسدلان الستار بعنف) .

الشيخ سعيد : حطموا المكان ومزقوا كل ما فيه .

(يسمع صوت تحطيم، وتمزيق ، ومعركة) .

الشيخ سعيد : احرقوا هذه الدار ، حتى تتطهر دمشق من بدعة التمثيل ونجاستها ..

(يظهر اللهب في الخلفية ، تسمع جلبة اصوات وصراخ . يخرج ابو خليل في حال من الفوضى والخوف والحزن الى مقدمة المسرح) .

الشيخ سعيد : شتتوا شملهم ، واتبعوهم بالتحقير والاهانة ، ارجموهم بالحجارة واللعنات ، امنعوهم من تدنيس هذه المدينة مرة اخرى ...

(يهرع بعض الممثلين خارجين بخوف، يبقى ابو خليل ومعه البعض في الزاوية اليسرى يعلو الاسى وجوههم ، تنفجر اغنية صبيان يحملون الصفائح ويدقون عيلها) .

اغنية الصبيان :

ابو خليل النشواتي   يا مزيف البنات
ارجع لكارك احسن لك   ارجع لكارك نشواتي

ابو خليل ميـن قلـك على الكوميضةمن دلك
ارجع لكارك احسن لـك ارجـع لكارك قبـاني

ابو خليـل القبانـي يا مـرقص الصبيان
ارجع لكارك احسن لـك ابـو خليـل القبانـي

(مع المقطع الاخير من الاغنية ، يقهقـه الشيخ سعيد بشماتة ولؤم ، ثم يخرج ،ينهض القباني متعبا ومعه رفاقه ويبـدأون فـي الخـروج) .

محمود : الانذال ، عملوها .

القبـاني : بسيطة .

محمود : والآن !

القبـاني : سنتابع العمل .

محمود : بعد كل هـذا !

القبـاني : حالنا افضل من الذين يصفدونهم ويرمونهم في قاع البوسفور ، لو يئسنا فـلن تقوم في هذه البلاد نهضة ولو بعد مئات السنين ـ.

(يخرج ، يبقى المنادي،وتظهر الممثلة).

المنـادي : وهكذا يا سادة يا كرام انتهت تجربة القبانـي في دمشـق .

الممثلة : بدات خلال فترة مخاض صعبة ، فنالتها كل آلام المخاض القاسية .

المنادي : لكن القباني لم ييأس ، تابع تجربته فـي مصر التي كانت قبلة الفنانين والمثقفين والاحرار الذين يطاردهم ارهاب عبدالحميد .

(يبدأ كل الممثلين الذين ساهموا فيالمسرحية بالدخول . يصطفون في المقدمة) .

الممثلة : وفـي مصر ازدهرت تجربة القبانـي ، نمت وتطورت ، حتى استمرت ما ينوف عن الثلاثة عشر عامـا .

الممثلون : (جميعا في نشيد الختام) .

قـد تمت الاوطـار ولاحـت الانـوار

وضـاءت الاقمـار وطـابـت الانغـام

اسبل ستار الفضـل علينـا ياذا الطـول

وعمنـا بالنيـل واحسن آلختـام

(انتهت)

توزيع مبدئي للادوار

ممثلة	١	قوت القلوب	
ممثلة	٢	الممثلة	
ممثلة	٣	جميلة	
ممثلة	٤	جليلة	
ممثلة	٥	فتنة يمكن ان تقوم بدورها (ممثلة ٢)	
ممثل	١	المنادي	تابع الولاة
ممثل	٢	قاطع تذاكر	محمود العمري
ممثل	٣	عجوز	الشيخ سعيد الفبرا
ممثل	٤	هرون الرشيد	ابو خليل القباني
ممثل	٥	جعفر	اسكندر فرح
ممثل	٦	ظهرة	ابو احمد الكراكوزاتي
ممثل	٧	صالح	انور
ممثل	٨	عبدالرحمن	عبدالرحيم
ممثل	٩	ابو الفهد	رجل ١
ممثل	١٠	ابو حرب	رجل ٢
ممثل	١١	تابع ابي حرب	رجل ٣
ممثل	١٢	رجل عادي	رجل ٤
ممثل	١٣	محمد فتح الله	الشيخ الآخر
ممثل	١٤	ابراهيم	مسرور
ممثل	١٥	غانم بن ايوب	صالح بن الدرويش

٦ كومبارس

اثنان منهم يمثلان الدركيين والعسكري في مسرحية القباني
اربعة منهم يمثلون افرادا في حلقة الفبرا بالاضافة الى الرجال الاربعة الآخرين الذين ينسحبون من الحلقة .

كما انهم يؤدن الاغنيات الجماعية في مسرحية القباني
٣ بنات للغناء في مسرح القباني .

هذا الكتاب

« هذه المسرحية هي محـاولة لبعث التراث وفهمه ، اخذت احدى روايات الرائد المسرحي احمد ابو خليل القباني « هرون الرشيد مع غانم بن ايوب وقوت القلوب » بعد تعديل شيء من لغتها وبعض مواقفها ، ثم ادمجتها بالقصة الريادية لتجربـة القباني وكفاحـه مـن اجـل اقامـة مسرح في دمشق .

« اذن هناك مستويـان متميزان في هـذا العمـل .. الاول هو مسرحية ابي خليل القباني « هرون الرشيد .. » وفيها يجب ان نستعيد جوهر العرض المسرحي كما كان يتم تلك الايام .. وقد حاولت ان اتصور مجموعة من العلاقات بين متفرجي ذلك الزمـان والاحداث التي تجري عـلى الخشبة ، وضعت على السنتهم بعض التعليقات وادرجتهم في وقائع ربما لم تكن وثائقية ، لكني متأكـد ان وقـائع مشابهة كانت تحدث دائماً في تلك السهرات.. اما المستوى الثاني لهذا العمل ، فهـو المجريات الوثائقية والتاريخية التي تحكي قصة القباني منذ بداية تجربته المسرحية وحتى قيـام الرجعية باغلاق مسرحه واغلاقه » .

— من المقدمة —

الثمن : ٩ ل.ل. او ما يعادلها